العلاقات السياسية بين العرب المسلمين وممالك النصارى في شمال الأندلس

خلال عصر الإمارة (138-300هـ/ 755-912م)

The Political Relations Between Arab Muslims and Christian Kingdoms in the North Andulus during the Era of Emirate

أ.م.د. عمار عبد الرحمن حسين

الجامعة المستنصرية- كلية العلوم

Asst. Prof. Dr. Ammar AbdulRahman Hussein

Al-Mustansiriyah University / College of Science

ammarme74@uomustansiriyah.edu.iq

المستخلص :

يركز البحث على العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في عصر الإمارة بالأندلس والممالك النصرانية في الشمال خلال الحقبة الممتدة من(138-300هـ/755-912م) والذي تناول الباحث فيه العلاقات السياسية والعسكرية مع ثلاثة من أهم الممالك النصرانية في الشمال في تلك المدة وهي: مملكة ليون، وكتالونية (برشلونة) ونبارة.

وما مرت به هذه العلاقات من فترات حروب وقتال بين الجانبين وفترات اخرى من السلام والعلاقات الدبلوماسية والسفارات التي كانت ترسل وتتبادل بين المجانتين وخصوصا من الشمالين النصارى، والتأثيرات بين الطرفين، العربي الاسلامي والاوربي النصراني، واستعرض أهم المراحل السياسية والعسكرية في تلك الفترة وما قام به، الأمراء المسلمين من حملات عسكرية ومحاولات لإخضاع المناطق، وكيف كانت قرطبة حاضرة الأندلس في تلك الفترة، وكذلك لابد من التذكير بأن العرب المسلمين كانوا يحاولون بناء علاقات سياسية مميزة لولا التآمر الشمالي ومحاولاتهم في أن تكون هناك سيطرة لهم على مناطق المسلمين وخصوصا وأن الكفة العسكرية والسياسية كانت

دائما تميل لصالح العرب المسلمين وطبيعة هذه العلاقات وما لعبته من فائدة للجانبين وانعكاسها على الفترات اللاحقة.

الكلمات المفتاحية: العلاقات السياسية، العرب، الممالك، الأندلس، عصر الإمارة.

Abstract

This research deals with the political relations between the Arab Muslims in Era of Emara in Andulus and Christian kingdoms in the north during the period ranging from 138 – 30 AH / 755 – 912 AD. The research deals with political and military relations of most important three kingdoms in the north in that period: 1. Lyon kingdom, 2. Universal Catalonia (Barcelona), 3. Nabra kingdom. These relations underwent wars and fighting between the two sides and other periods of diplomatic relations and embassies that could be sent and exchanged, especially of the Christians northern, of the two sides Arab Muslims and Christian Europe. This research has revealed most important stages of military and political periods and of what the Muslim princes did of military campaigns and of attempts to get the areas under their control, and how was Cordoba in that period. It is worthy to be mentioning that The Arab Muslims were always attempting to build prominent political relations, but the northern conspiracy prevented that and get control on some Muslim areas. The; political and military sides were always tending toward the benefit of Arab Muslims. The nature of this relationship. along with its reflection on the coming stages, brings benefits to both sides.

Key words (political relations,the Arab, Kingdoms ,AL– Andulus, Era of Emara)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين محمد(ﷺ) لقد تناول الباحث العلاقات السياسية بين العرب المسلمين في عصر الإمارة في الأندلس والممالك النصرانية في شمال شبة جزيرة ايبريا، إذ إن العرب المسلمون وبعد فتح الأندلس وأغلب جهات شبه الجزيرة الايبيرية في اواخر القرن الاول الهجري، القرن الثامن الميلادي، إذا ما استثنينا فقط منطقة واحدة وهي ما تعرف باسم (كانتابرية) على خليج بسكاية (شمال إسبانيا الحالية)، وذلك لصعوبة طرقها ومسالكها وبرودة مناخها، ومن هنا اصبحت قاعدة ومركز لتجميع النصارى فيما بعد ومنها بدئوا يكونوها قاعده الانطلاق للتآمر على العرب المسلمين، واستطاعت هذه الجماعات من النصارى الذين فروا إلى شمال شبه الجزيرة بعد عام 92هـ/711م بجمع قوأهم هناك وتنظيم صفوفهم وتحالفوا مع بعضهم البعض وهناك ولدت وتكونت عدت ممالك نصرانية، كانت طيلة السنوات التالية في صراع مع العرب المسلمين مرة سياسيا وفي مرات كان يسودها عسكريا ومرة أخرى نوع من الهدوء، وسأتناول في بحثي هذا ثلاثة من أهم هذه الممالك.

التمهيد.

ان صلات الممالك السياسية مع العرب المسلمين خلال الفترة **138-300هـ** إذا كان هناك قاسم مشترك لهذه الممالك وهو الموقع الجغرافي والمناخ، اضافة إلى ان هذه الممالك عن اتصال ببلاد الفرنجة والبابا والعالم المسيحي، وفوق كل ذلك العداء المشترك للعرب المسلمين الذي جاءوا من اقصى المشرق وأسسوا وصنعوا قواعد لدولة كانت من أعظم الدول على مر التاريخ في تلك الأرض، سياسيا وعسكريا وعمرانيا واقتصاديا ثقافيا، وهذا مما ساعد على تدعيم الخواص المادية والروحية ضد العرب المسلمين في الجنوب (الأندلس).

وعند تناول المرحلة من 755/138هـ وهي سنة إعلان عبد الرحمن الداخل لدولته (إمارته) وحتى سنة 300هـ وهي سنة تولى حفيدة عبد الرحمن الثالث للحكم وكيف كانت هذه الفترة تمر بعلاقات سياسية متوترة وكانت هذه الفترة التي امتدت لحوالي 160 سنة، وما شهدته من تطورات سياسية وخصوصا للعرب المسلمين الذين بدوا في مرحلة تكوين دولتهم ومكانتهم في تلك الفترة، خصوصا وأن العرب المسلمين كونوا دولة حضارة هناك. بقى أثرها حتى الوقت الحاضر شاهدا على عظمتهم. وقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر منها الكامل في التاريخ لابن الاثير، وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون، والبيان المغرب لابن عذاري وأعمال الاعلام لابن الخطيب، والعديد من المصادر التي تؤرخ وتوثق لتلك المرحلة التاريخية المهمة.

اما المراجع التاريخية الحديثة فقد اعتمد الباحث على كتاب الدولة العربية في إسبانيا لإبراهيم بيضون وكتاب دولة الاسلام في الأندلس لمحمد عبدالله عنان وتاريخ العرب في الأندلس(عصر الإمارة) لخالد الصوفي وتاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان، والمسلمون في الأندلس (إسبانيا الاسلامية) لدوزي. وغيرها من المراجع بما يحقق هدف هذا البحث واني احمد الله على ما أقدمه من جهد متواضع. خصوصا وأني قسمت بحثي هذا إلى:

واتمنى أن أقدم شيئاً متواضع يؤرخ لهذه الفترة وما كان لها من اثر على العلاقات السياسية بين العرب المسلمين الحاكمين للأندلس مع النصارى وما كان لهذه العلاقات من دور في تحديد مسار الصراع في تلك البقعة من الأرض، كما وأني حاولت جاهدا أن أكون محايدا في كتابتي ومن الله التوفيق.

التمهيد:

لم تكن العلاقات بين العرب المسلمين في الأندلس والممالك النصرانية في شمال شبة الجزيرة الإيبيرية علاقات هادئة او ساكنه، بقدر ما كانت علاقات حربية وعدائية ورغم ان كان هناك في بعض الفترات علاقات دبلوماسية هادئة ولكن على الأغلب كانت هناك فترات تشهد التصعيد، فلم ينسى النصارى يوما ان العرب المسلمين سيطروا على الأندلس وأنشؤوا فيها دولة قوية مترامية الاطراف وطموحة في سياساتها (حلاق، 1986، صفحة 69)، والواقع ان الخوض في موضوع العلاقات السياسية في تلك الفترة التي شكلت منذ بداية اعلان الدولة على يد الأمير عبد الرحمن الداخل، والصراعات الداخلية التي واجهها في بداية تأسيس دولته، وان الصلات والزيارات المتبادلة بين العرب في الأندلس والممالك النصرانية في الشمال لم تشغل عن جزء يسير في إطار ما يسمى حاليا بالعلاقات الدولية، إذ إن الجانب الاكبر كان في ساحات القتال في معركة اثبات الوجود وفق أرض محاطة بالأعداء المصيريين (بيضون، 1986م، صفحة 322)، وإذا كانت تلك الفترة من 138هـ /وحتى 300م . ويعد عبد الرحمن الداخل أول الأمراء ومن بعدة ولده هشام بن عبد الرحمن ومن ثم الحكم بن هشام، وبعد الرحمن بن الحكم، ومحمد بن عبد الرحمن والمنذر بن محمد، وصولا إلى عبد الرحمن الناصر (بيضون، 1986م، صفحة 324) قد شهدت فترات من القوة والغلبة للعرب المسلمين والسيطرة إلا أن النصف الثاني من تلك الفترة وخصوصا بعد عام 256هـ شهدت نوع من الهدوء والتراخي الخارجي والميل للمعاهدات والصلح في ظل ازدياد الصراعات الداخلية وخصوصا في فترة محمد بن عبد الرحمن وما بعدها. وكانت فترته مرحلة حرجه في العلاقات (بيضون، 1986م، صفحة 256) لذلك كانت علاقات العرب السياسية منذ بداية نشوء الدولة في 138هـ/ والصراعات التي شهدتها داخليا انعكاسها على السياسية الخارجية وخصوصا مع الممالك النصرانية، ولعل دراستنا لهذه المرحلة وأثرها في إبراز دور العرب العسكري والسياسي في تلك الفترة التاريخية التي كان العرب يخوضون فيها معركة

اثبات الوجود والبقاء أهميتها الكبيرة في التأثر عن المراحل اللاحقة في عمر الدولة الإسلامية هناك وما شهدتنا في كل الجوانب، وخصوصا علاقاتها السياسية المتعاقبة.

المبحث الأول: العلاقات السياسية مع مملكة ليون

استطاع عبد الرحمن الداخل ان ينتزع النصر من خصومه المحلين وتأسيس دولته(امارته) سنة (138هـ-755م) (ابن حبيب، بلا، صفحة 136) لكن الثمن كان باهظا إذ إن انشغاله في حروبه الداخلية انعكس بشكل خاص على سياستيه الخارجية اتجاه نصارى الشمال الإسباني، فلقيت الإهمال، مما أتاح المجال امام مملكة اشتريس وجليقية اخطر التجمعات النصرانية المناوئة للمسلمين آنذاك أن تنمو وتزداد توسعاً على حساب حكومة قرطبة التي اصبحت مضطرة إلى الاعتماد على امكانياتها الداخلية المحدودة في مواجهة الخطر الزاحف اليها من الشمال (الدوري، 1982، الصفحات 302-303)

لم تترك حركات التمرد والفتن الداخلية الوقت الكافي للداخل لمقارعة نصارى الشمال فوجد ملك جليقية فرويلا الأول(141-158هـ/ 758-774م) الفرصة مواتية لانشغال الداخل بقمع ثورة يوسف الفهري(141هـ/758م) (مؤلف مجهول، 1867م، الصفحات 88-91)، وأنه لا يستطيع القيام بأي عمل عسكري خارج حدود دولته، فعبر نهر دويرة وهاجم الثغور الاسلامية واستولى على اراض شاسعة فسيطر على مدينة لك وبرتغال وسمورة وقشتاله وشقوبيه وضمها إلى مملكته (ابن خلدون، 1971، صفحة 156) ، وهكذا سقطت هذه الأراضي في عصر أمير يعد من اقوى وأصلب الأمراء، ورغم الانتصارات الحاسمة التي حققها فرويلا الأول إلا أنه اضطر لعقد معاهدة سلام مع المسلمين مدتها خمس سنوات تبدأ من سنة(142هـ-759م)، تعهد من خلالها بدفع مبالغ كبيرة للحكومة الإسلامية (الذهبي، 1982، صفحة 250/8)، حتى يتفرغ لقمع ثورات الأشراف الداخلية التي حفل بها عصره (عنان، 1952م، صفحة 213).

لم يتمكن عبد الرحمن الداخل من الرد على اعتداءات النصارى إلا عام(150هـ/ 768م) وهو العام الذي شهد اول لقاء عسكري بين عبد الرحمن ونصارى الشمال، إذ وجه حملة بقيادة مولاه بدر[*] (ابن القوطية، 1975،

[*] بدر: يرجع اليه الفضل الأكبر في قيام دولة العرب في الاندلس، إذ رافق عبد الرحمن بن معاوية في رحلة هروبه من الشام الى المغرب، وبعد أن اخفقت آماله في المغرب بعث مولاه بدرا الى الأندلس في اوآخر سنة(136هـ/753م) كي يمهد له امره ويهيئ له انصاره وانجز مهمته بنجاح، فأخذه العجب بنفسه، وظن أنه حر التصرف في امور الدولة، فغضب علية الامير وسلبه ماله ونفاه الى الثغر، ولم يدع له حقوق الخدمة.

الصفحات 44–47) إلى البه(Alava)[*] (ارسلان، 1983، الصفحات 221/1–222) شرقي ليون وحارب أهلها وانتصر عليهم واخذ منهم الجزية، دون إعطاء أي تفاصيل أخرى (ابن عذاري، 1883م، صفحة 54/2).

وخلال رحلة العودة جلب بدر معه إلى قرطبة كل من شك في إخلاصه وولائه من زعماء الثغور (ابن عذاري، 1883م، صفحة 54/2) وشكلت مسالة الثغور إحدى العقبات الكبرى أمام حكومة قرطبة، التي كان من المفترض ان تكون خط الدفاع الاول عن الدولة، وبدلا من ذلك كانت حدود الأندلس خليطاً مشوشاً من التناقضات وافتقرت تلك المنطقة إلى التجانس الضروري الذي يجعلها منطقة حدود، وصارت حدودا ضد قرطبة، ولم تحدثنا الروايات التاريخية عن اي اشتباكات اخرى بين الطرفين حتى عام(164هـ/780م)، إذ أجبرت الأوضاع الداخلية كلا الجانبيين على العيش بسلام، باستثناء ما انفردت به رواية نصرانية عن نبأ موقعة عظيمة درات أحداثها في بونتومو من أعمال جليقية سنة(157هـ/773م). ودارت الدائرة فيها على المسلمين، وقتل منهم على ما تدعيه الرواية أربعة وخمسون الفاً (عنان، 1952م، صفحة 213).

نفى المؤرخون المحدثون إمكانية حدوث مثل هذه المعركة في ذلك الوقت، إذ إن ظروف كل من المسلمين والنصارى لم تكن تسمح بحدوث مثل تلك المواجهة إذ كان عبد الرحمن الداخل مشغولاً بقمع ثورة شقيا بن عبد الواحد البربري[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 101)، كما أن فرويلا الأول الذي قالت الرواية أنه قاد القوات النصرانية خلال المعركة كان قد قتل منذ عام (150هـ/768م) (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 131) وربما أرادت الرواية النصرانية أن تعطي بعض الانجاز المبالغ به خصوصا عن عدد القتلى من المسلمين، وانتهز الداخل فرصة وجوده في الشمال عام(164هـ/780م) لردع ثوار سرقسطة بعد فشل حملة شارلمان ليقوم ببعض الغارات العسكرية، فاخترق بلاد البشكنس(Bacos) وخرب بنبلونه (Pamplona) وقلهره(Calaborra) واجتاح ولاية شرطانية(Cerdana) التي أرغم أميرها على تقديم الطاعة وأداء الجزية واخذ ابنه رهينة (مؤلف مجهول، 1867م،

(*) البه(Alava) والقلاع(Gastile) علمان جغرافيان يستعملان معا النصوص العربية، واما ألبه فهي الاقليم الواقع عند منابع نهر ابره على الضفة اليمنى منه إلى الشرق من جبال كنتبرية على ابواب فرنسا، اما القلاع فيراد بها المنطقة التي تعرف بقشتاله(Gastella) لكثرة قلاعها، وكان العرب في غزواتهم الى سرقسطة أو الشمال الاسباني يسيرون مع نهر ابره فتكون البه والقلاع في طريقهم، ولهذا يذكر الاقليمان معاً.

(*) ثورة شقيا بن عبد الواحد البربري: نشبت سنة(151هـ/ 768م) وزعيمها رجل من قبلية مكناسه البربريه، كان يعمل معلماً للصبيان، وكانت أمه تسمى فاطمة، فادعى أنه فاطمي من سلالة النبي (صلى الله عليه وسلم)،وتسمى بعابد الله بن محمد ودعا الناس الى اعتناق الدعوة العلوية كي يخلصهم من حكم الدولة العربي في الأندلس، تكررت محاولات قرطبة للقضاء عليه دون جدوى، لاتباعه خطة عسكرية محكمة، فكان يتجنب المواجهة المباشرة مع الجيش، وكانت نهايته عام(160هـ/ 776م) على يد اثنين من أصحابه فتلاه واجتزا راسه وتوجها به الى عبد الرحمن الداخل.

صفحة 104). ومنذ العام(164هـ/780م) وحتى وفاته(172هـ/788م) لم يشتبك عبد الرحمن الداخل مع نصارى الشمال لانشغاله في مجابهة الفتن الداخلية (العذري، 1965، صفحة 26).

تولى الحكم بعد عبد الرحمن الداخل ابنه هشام(172–180هـ/788–796م) ولم تمكنه الأحوال الداخلية في بداية عهده من استئناف الجهاد ضد الممالك الإسبانية، في الوقت الذي انشغل فيه بمحاربة أخوية سليمان وعبدالله الطامعين بالحكم انتهز الفرصة سعيد بن الحسين الانصاري في طرطوشه[*] (القلقشندي، 1987م، صفحة 233/5) ومطروح بن سليمان والي برشلونه واعلنا الثورة في الثغر الاعلى (العذري، 1965، صفحة 36)، فتوقفت الغزوات ضد نصارى الشمال حتى شاع بين الناس ان المسلمين غير قادرين الا على قتال بعضهم بعضا، وافتى بعض الفقهاء بعدم جواز تأدية الخراج لأمراء لا يعرفون الا قتال مواطنيهم المسلمين، وكانوا يضربون الامثال في خدمة الاسلام بخلفاء بغداد الذين كانوا يواصلون غزو القسطنطينية (ارسلان، 1983، صفحة 126).

كان الجهاد احدى الشعارات المرفوعة للاستقطاب او للاستيلاء على الحكم، وكان هو المقياس عند الشعب للظفر بالاحترام او بالاحتقار، فقرر هشام أن ينفي هذا الاتهام عن نفسه ويكسب ثقة مواطنية من جديد، فأعلن الجهاد وعبأ جيشا سنة(176هـ792م) قوامه أربعين ألف مقاتل جعل على رأس قائده أبا عثمان عبيدالله بن عثمان[*] (النويري، 1917م، صفحة 352/23) وسيره إلى البه والقلاع، فمضى الجيش حتى وصل وادي إبره وصعد مع النهر حتى البه حيث التحم مع النصارى بقيادة ملكهم برمودو(برمند) وحلفائه البشكنس وفرق جموعهم وقتل منهم تسعة الاف ثم عاد إلى قرطبة محملاً بالأسلاب والغنائم (ابن عذاري، 1883م، صفحة 63/2). ركزت الرواية الإسلامية في سردها لمجريات المعارك على العبارات الرنانة وعلى خسائر العدو دون الإشارة إلى حجم الخسائر في صفوفها، الأمر الذي جعل من الصعب تحليل نتائج هذه الوقائع تحليلا واقعياً بعيدا عن الإرباك في الكتابة التاريخية.

---

[*] طرطوشه(Tortosa): وهي في سفح جبل، ولها سور حصين، وبها اسواق وعمارات وضياع، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها، وبجبالها خشب الصنوبر الذي لا يوجد له نظير في الطول والغلظ، ومنها الى طركونه خمسون ميلاً، وبينها وبين البحر المتوسط عشرون ميلاً.

[*] أبو عثمان، عبيدالله بن عثمان: وهو أول من تولى منصب الوزارة لعبد الرحمن الداخل ثم جمع له منصبي الوزارة والكتابة لمكانته ونصرته ونجدته فهو أحد زعماء الموالي الأموية الذين ناصروا الداخل وهياوا له سلطانه في الأندلس حتى قبل أن يعبر الداخل اليها وبعد عبوره إلى أن استخل الأمر له ودانت الأندلس لحكمة.

عرف عن هشام انه كان يرسل جيشين في آن واحد، لذا نرى جيشا آخر يخرج في العام نفسه(176هـ/72م) وعلى راسه يوسف بن بخت[*] (ابن القوطية، 1975، صفحة 59) متوجها إلى جليقية حيث يشتبك مع جيش برمودو على نهر بوربيا(Burbia) فيهزمة شر هزيمة ويقتل منه ما يزيد عن عشرة الاف (ابن عذاري، 1883م، صفحة 63/2). وبعد هذه الهزيمة الساحقة خشي برمودو على مستقبل المملكة، فتنازل عن العرش مختاراً لصالح الفونسو الثاني سنة(175هـ/791م) (ابن الاثير، 1980، صفحة 120/6). وكان اول لقاء عسكري بين هشام والفونسو الثاني عام(177هـ/793م) فاخرج اليه حملة بقيادة عبد الملك بن عد الواحد بن مغيث[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 62) اخترقت البه والقلاع من جديد واثخنت في نواحيها (ابن الاثير، 1980، صفحة 133/6).

كما قاد عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث[*] (ابن القوطية، 1975، صفحة 12/2) حملة أخرى إلى البه والقلاع عام(178هـ/794م) وأدى مهمته بنجاح حسب تعبير الرواية وعاد إلى قرطبة محملاً بالغنائم (ابن خلدون، 1971، صفحة 160). حدث ذلك في الوقت الذي كان فيه جيش اخر بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد يتوجه إلى جليقية وينجح في مهاجمة افيدو(ابيط) عاصمة الفونسو الثاني وتخريبها (ابن الاثير، 1980، صفحة 144/6) لكن هذا الجيش تعرض لمحنة كبيرة اثناء عودته إذ وقع في فخ نصبه له النصارى فتكبد خسائر فادحة في الارواح والمعدات (ابن الاثير، 1980، صفحة 144/6)' الأمر الذي دفع عبد الكريم بن عبد الواحد للخروج بالصائفة[*] (ابن حيان، 1968، صفحة 267) عام (179هـ/795م) انتقاماً لذلك. فاخترق مفارز جليقية حتى

---

[*] يوسف بن بخت: هو ابو الحجاج يوسف بن بخت مولى عبد الملك بن مروان بن الحكم، دخل الاندلس في جند الشام مع طالعة بلج بن بشر القشيري، واصبح من رؤساء الموالي الاموية في الاندلس، عهد اليه عبد الرحمن الداخل بمنصب الحجابة وكان يستخلفه على قرطبة عند غيابه، وطال عمره فكان احد قواد الامير هشام بن عبد الرحمن(ت2190220هـ/ 834-835م).

[*] عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث: جده مغيث بن الحارث بن حويرث بن جبله بن الايهم الغساني الذي يدعى مغيث الرومي، دخل مع طارق بن زياد وهو الذي اطلع بفتح قرطبة، اما عبد الواحد بن مغيث فقد كان حاجبا للداخل ثم لابنه هشام، كانت وفاته في ايام الحكم الربضي سنة(199هـ/ 815م) وقد اعقبه ثلاثة ابناء كان لهم مكانة عظيمة في ايام هشام وابنه الحكم وهم عبد الملك وعبد الكريم وعبد الحميد.

[*] عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث: تبوأ مكانة عظيمة ايام الحكم الربضي وكان له الدور الكبير في اخماد ثورة الربض(202هـ/ 818م) وتوسط في استسلام وعقد الامان لهم، توفي عام(209هـ/824م) بعد ان تقلب في اعلى مناصب الدولة، تولى القيادة والكتابة والوزارة فضلا عن الحجابة معظم ايام الحكم وثلاث سنوات من امارة عبد الرحمن الاوسط.

[*] الصوائف: جمع صائفة، مشتقة من اصيف، هي الحملات التي جرت عادة الحكام العرب على توجيهها الى الممالك النصرانية خلال فصل الصيف، وقد استقر تقليد هذه الحملات حتى اصبحت وظيفة ثابته يعهد بها الى احد القواد= =الكبار او الى واحد من افراد الاسرة الحاكمة، وكان احيانا الامير او الخليفة يضطلع بقيادتها. حتى ان لفظ الصائفة انتقل الى اللغة الإسبانية في صورة (Aceifa).

مدينة استرقه وكان الهجوم شديدا لدرجة ان الفونسو الثاني تراجع إلى الشمال وعسكر في حشود ضخمة ما بين حيز جليقية والصخرة على خليج بسكاية فطلب العون من البشكنس وغيرهم من سكان تلك النواحي (ابن الخطيب، 1956، صفحة 12/2). خرج اليه فرج بن كنانه[*] (ابن القوطية، 1975، صفحة 349) احد قادة عبد الكريم على راس فرقة مكونة من اربعة الاف فارس ليقتفي اثره، فاصطدم بقوة نصرانية مكونة من ثلاثة الاف فارس نجح في القضاء عليهم واسر قائدها عند مارة في وادي كوثية غنم العسكر جميع ما في تلك الناحية (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 64/1-65).

ويبدو ان الفونسو الثاني قد تجنب الاصطدام مع قوات المسلمين على أراضيه، فهرب إلى حصن في وادي نلون(Nalon) (ابن عذاري، 1883م، صفحة 65/2)، لكنه سرعان ما رحل عنه إلى حصن اخر تاركاً اياه بما فيه من اطعمة وذخائر ليسيطر عليه عبد الكريم الذي سارع بإرسال فرج بن كنانه مرة اخرى ليستأنف مطاردته للفونسو الثاني ولكن هذه المرة في قوة قوامها عشرة الاف فارس، وكاد الفونسو الثاني ان يقع في الاسر لولا انه نجح في الافلات من جديد تاركاً وراءه جميع معداته وذخائره (عنان، 1952م، صفحة 225). كانت هذه آخر الحملات التي ارسلها هشام إلى الشمال، إذ توفي عام(180هـ/796م)، لكنها كانت درسا قاسيا لنصارى الشمال جعلتهم يلتزمون الصمت مدة طويلة قبل ان يجمعوا شتاتهم ويستأنفوا حربهم ضد المسلمين (الصوفي، 1980م، صفحة 123).

وفي الواقع ان الأمير هشام يعد من أبدع الأمراء المسلمين في مجال الحروب مع النصارى إذا ما أخذنا في الحسبان عدد الغزوات التي قام بها في المناطق الشمالية بالنسبة إلى مدة حكمه والتي لم تتجاوز الثماني سنوات واستطاع أن يحقق نتائج ملموسة (ابن عذاري، 1883م، صفحة 69/2).

بدأ "الحكم" عهده عام(180هـ/796م) بإرسال صائفة إلى الشمال، تولى قيادتها عبد الكريم عبد الواحد، فقسم الجيش إلى ثلاثة أقسام، وجعل على كل قسم رئيس، وامر كل واحد منهم ان يهجم على الناحية التي وجهه اليها، فأغاروا واستباحوا وانصرفوا غانمين، ثم عادوا ثانية وعبروا خليجاً من البحر كان الماء قد جزر عنه، وكان النصارى قد جعلوا أموالهم وأهلهم وراء ذلك الخليج ظناً منهم أن احداً لايستطيع العبور إليهم، فغنم المسلمون جميع أموالهم، وعادوا سالمين إلى عبد الكريم (ابن الاثير، 1980، صفحة 360/23).

---

[*] فرج بن كنانة: هو فرج بن كنانة بن نزار بن مالك من اهل شذونه، ولاة الامير الحكم بن هشام القضاء بقرطبة، وذلك سنة(198-813م) وظل قاضيا الى سنة مئتين، ثم خرج الى الثغر الاعلى وقاتل النصارى، اتصف بالشجاعة والفروسية، توفي سنة(215هـ/830م).

وبعث صائفة اخرى فخربوا كثيرا من بلاد الفرنجة، وغنموا الأموال وأسروا الرجال فأخبرهم بعض الأسرى ان جماعة من ملوك الفرنج قد سبقوا المسلمين إلى واد وعر المسلك على طريقهم وبلغ ذلك عبد الكريم فجمع عساكره وسار بسرعة فلم يشعر الفرنجة إلا وقد خالطهم المسلمون ووضعوا السيف فيهم، فانهزموا، وغنم المسلمون ما معهم وعادوا بالظفر والغنيمة (الصوفي، 1980م، صفحة 156). يبدو أن هذه الحملة اتبعت في خط سيرها وادي الايبرو(Ebro) واستولت على قلهرة (Callahora) ثم تابعت سيرها نحو الشمال فاجتاحت منطقة اشتريس، قبل أن ترجع إلى قرطبة (ابن الاثير، 1980، صفحة 161/4). انتهز الفرنج فرصة انشغال الحكم بمحاربة عمية عبدالله وسليمان وتقدموا إلى برشلونه وسيطروا عليها عام(185هـ/801م) وجعلوها قاعدة الثغر الإسباني، وتراجع المسلمون إلى الوراء (الصوفي، 1980م، صفحة 1157).

وفي عام (187هـ/803م) قاد عبد الملك بن عبد الواحد حملة إلى البه والقلاع ولكنها لم تترك اثراً يذكر إذ إن المعلومات عنها لا تكاد تكفي لتقيم نجاحها، وهي لا تختلف عن حملات تقليدية أخرى كانت تشق طريقها كل صيف إلى الشمال (سالم، 1962، صفحة 225). وفي عام (192هـ/808م) ارسلت صائفة أخرى بقيادة هشام بن الحكم نحو جليقية وعادت مظفرة (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 70/2–72) حسب ذكر الرواية الإسلامية دون توضيح مقدار هذا الظفر، فالمؤرخون المسلمون عظموا ومجدو بكل حملة قادها أمير أو أحد كبار القادة، وحاولوا تعظيم دورهم بالتركيز على نصرهم على العدو وتخريب أرضه ثم العودة بالنصر والغنائم كدليل على قوة المسلمين وإذلال للنصارى واظهارهم بمظهر الضعيف الذي لا يستطيع حماية ممتلكاته. وعندما نريد أن نحلل ونستنتج من هذه الروايات ومثيلاتها نلاحظ منها أنها مجرد غارات لم يتمخض عنها أي نتائج حاسمة أو ملموسة، عدا أن المعلومات عنها عامة ومقتضبة لا تكاد تكفي لتقييمها ولكنها كانت توضح قوة العرب المسلمين ولكن هذا لا يعطي دليل على ضعف النصارى في الموازين العسكرية. وربما الأحوال الداخلية المتردية في عصر الحكم تفسر لنا ضعف الحملات التي وجهت نحو الشمال النصراني. فلم يكد يلتقط انفاسه بعد قضائه على ثورة عميه الطامعين في الحكم عام (186هـ/802م) حتى قامت عام(189هـ/804م) مؤامرة جديدة للإطاحة بحكمه فاكتشفها وقضى عليها ليتفرغ لثورة بربر ماردة التي استمرت من عام(190–197هـ/805–812م) (ابن خلدون، 1971، صفحة 161). هذا بالإضافة لانشغاله بخطر الفرنجة الذي هدد كيان قرطبة باستيلائهم على برشلونة سنة (185هـ/801م) (عنان، 1952م، صفحة 237).

ولم يترك الفونسو الثاني هذه الفرصة وقام بحملات متوالية على الأراضي الاسلامية، واتسمت حملاته بأنها كانت ذات طابع ديني، إذ عرف عن هذا الملك بأنه كان شديد التعصب لدينه حتى أنه لقب بالعفيف (عنان، 1952م، صفحة 238)، فعبر نهر دويره(دورو) عام(193هـ/810م) وغزا الأراضي الاسلامية وعاث بها قتلاً

وتخريبا، وكانت حملاته تتجه بالأخص إلى اطراف الثغر الادنى وإلى المنطقة الواقعة بين نهر دويره والتاجه، فتوغل في حملاته حتى قلمريه (قلنبريه) واشبونه في غرب الأندلس (عنان، 1952م، صفحة 238) لبعدها عن حكومة قرطبة وضعف وسائل الدفاع فيها (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 117).

تنامى إلى سمع الحكم ما يعانيه اهالي الثغور من المصاعب جراء غزوات النصارى خصوصا ما نقله اليه الشاعر العباس بن ناصح[*] (ابن الفرضي، 1966، الصفحات 296–297)، عن معاناة الأسرى المسلمين وحسب ما ورد في الرواية التاريخية أن هذا الشاعر توجه ناحية الثغر فلما نزل بوادي الحجارة(Cuadalajar) سمع امرأة تستغيث بالحكم قائلة: (واغوثاه يا حكم، لقد ضيعتنا واسلمتنا وانشغلت عنا حتى استأسد العدو علينا)[*] (المقري، 1388هـ/1968م، صفحة 343/1) فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبلة من البادية في رفقة فخرجت علينا خيل العدو، فقتلت وأسرت، فنظم قصيدة بهذا المعنى أنشدها أمام الحكم[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 117). ويبدو ان الحماسة اخذت الحكم من شدة تأثره بما سمع فأعلن النفير، وقاد الحملة بنفسه نحو منطقة وادي الحجارة سنة(194هـ/800م) فأوغل فيها وهدم المعاقل وافتتح الحصون، ويذكر أنه استطاع تخليص عدد من الأسرى المسلمين من بينهم المرأة المستغيثة، فطلب من العباس أن يسألها هل أغاثها الحكم؟ فقالت: والله لقد شفى الصدور، وأبلى العدو، واغاث الملهوف، فأغاثه الله واعز نصره، فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهة (ابن الاثير، 1980، صفحة 318/6). ويتضح ان حجم الرد الاسلامي كان يحدده مقدار التهديد النصراني للأراضي الاسلامية والذي اخذ يزداد خطورة مع الزمن، فقبل فترة قصيرة كان هدف هؤلاء الحفاظ على ما تبقى بايد بعام اما الان، وبسبب الصراع الاسلامي بالدرجة الاساس فرض واقع جديد على شبه الجزيرة وانقبلت الأوضاع إذ اصبح المسلمون هم الذين يسعون للحفاظ والذود عن اراضيهم.

---

[*] عباس بن ناصح الثقفي: شاعر من اهل الجزرة يكنى: ابا العلاء، رحل به ابوه صغيرا فنشأ بمصر وتردد بالحجاز طالبا للغة العرب، ثم رحل به ابوه الى العراق فلقي الاصمعي وغيره من علماء البصرة والكوفة، وانصرف الى الاندلس فلم يزل مترددا على الحكم بن هشام بالمديح، ويتعرض للخدمة فاستقضاه على شذونه والجزيرة.

[*] منها: **تململت في وادي الحجارة مسهرا اراعي نجوما ما يردن ثغورا**

اليك ابا العاصي نضبت مطيتي تسير بهم ساريا مهجراً

تدارك نساء العالمين بنصرة فانك احرى ان تغيث وتنصرا

[*] ونظم الحكم بهذه المناسبة الابيات التالية:

الم تر يا عباس اني اجبتها على البعد اقتاد الخميس المظفرا

فادركت اوطارا وبردت غلة ونفست مكروباً واغنيت معسرا.

ومع ذلك ما زال المسلمون قادرين على تحقيق الانتصارات المؤقتة، فكان عام(200هـ/816م) تاريخ احدى الوقائع المشهودة بين المسلمين والنصارى الذين اضطروا للتقهقر امام جيش المسلمين حتى وصلوا في تراجعهم إلى نهر ارون(Oron)، وهنا حجز النهر بين الجانبيين، ولم يستطع اي منهما في هذه المرحلة من الوصول إلى نصر حاسم، فتحاربوا حتى تكسرت السيوف ثم لجاوا للقذف بالحجارة، وعمد النصارى إلى ملء النهر بالعوائق كالأخشاب حتى يمنعوا المسلمين من اجتيازه، كما صنعوا عوائق اخرى مثل حفر الخنادق، وزاد الأمر صعوبة سقوط الامطار الغزيرة مما سأهم في عدول المسلمين عن مطاردة العدو، بالإضافة إلى نقص المؤن لدى الجانبين بعد معركة قاسية استمرت ثلاثة عشر يوماً، فاكتفى القائد عبد الكريم بما حققه عاد راجعاً بالمسلمين إلى الجنوب (ابن الاثير، 1980، صفحة 299/6)، كان هذا اخر صراع عسكري بين الحكم والنصارى إذ انشغل في اخماد ثورة الربض (202هـ/818م)، ثم توفى بعد ذلك بسنوات قليلة(206هـ/822م) (بيضون، 1986م، صفحة 251).

اتسم عصر عبد الرحمن الثاني(206-238هـ/822-852م) بالنشاط النسبي في مجال حروبه مع نصارى الشمال، والواقع ان السياسة الجهادية اصبحت محكاً عمليا للنظام في الأندلس فمن خلالها يقيم نجاح او فشل الأمير الحاكم (ابن عذاري، 1883م، صفحة 82/2). فوجه عام(208هـ/823م) اول حملة عسكرية نحو الشمال تحت قيادة عبد الكريم ابن عبد الواحد، وكالمحلات التقليدية اتجهت نحو البه والقلاع عن طريق ممر جرنيق(Guernico) الواقع بين سيرا دي انثيا(Sierra de encia) وجبال اتوريل (Iturrita) وهزم جموع النصارى وخرب المدن والقرى واستولى على مخازن المؤن والذخائر مما اجبر حكام تلك المنطقة على دفع الجزية واطلاق سراح الاسرى المسلمين (النويري، 1917م، صفحة 376/23). وفي العام التالي (209هـ/824م) تحرك الجيش الاسلامي نحو الشمال، لكنه لم يتخط الحدود الاسلامية، إذ فاجأ المرض قائد الجيش عبد الكريم بن مغيث وكان مرضه الذي توفي به، فعين الأمير مكانة القائد امية بن معاوية بن هشام، الذي غزا بالصائفة إلى اوريط[*] (البكري، 1968م، صفحة 62) ثم تقدم إلى شنت برية[*] (ياقوت، بلا.ت، صفحة 158/3) وتدمير[*] (العذري، 1965، صفحة 5)، ليعمل على تهدئة الثورة في هذه المناطق، وهكذا لم تخرج هذه الغزوة خارج الحدود فكانت داخلية بحتة (ابن عذاري، 1883م، صفحة 82/2).

---

[*] اوريط(Oreto): مدينة قديمة بالاندلس، وكانت عظيمة، مذكورة مع طليلية، وعمرت قلعة رباح وكركي بخراب اوريط.

[*] شنت بريه: مدينة متصلة بحوز مدينة سالم بالاندلس وهي شرقي قرطبة، وهي مدينة كبيرة كثيرة الخيرات تشتهر بشجر الجوز والبندق، لها حصون كثيرة.

[*] تدمير: تنسب كورة تدمير الى الملك الذي كان يحكمها ايام الفتح العربي للاندلس تيودومير(Teodomiro) وقد نزلها جند مصر، وانتقلت عاصمتها بعد ذلك الى مدينة مرسيه في ايام عبد الرحمن بن الحكم سنة (210هـ/825م).

وخرجت حملة عام(210هـ/825م) بقيادة حاكم جيان فرج بن مسرة[*] (ابن حزم الاندلسي، 1983م، صفحة 501) فتوغل في المناطق الشمالية وافتتح حصن القلعة وعاد منتصرا (هذه الحملة لم تخرج من قرطبة، وانما قام بها) احد عمال الإمارة، ولكن من الواضح ان ذلك كان بإيعاز من قرطبة وليس بدافع شخصي فاقتضى التنوية بها (ابن الاثير، 1980، صفحة 400/6). في العام نفسه انتصر جيش بقيادة عبيدالله البلنسي على جيوش اشترين قرب جبل المجوس في معركة وصنعت بالكبيرة حتى انه أطلق عليها اسم غزوة الفتح (النويري، 1917م، صفحة 377/2). وفي نفس العام تمكن المسلمون بقيادة العباس بن عبدالله القرشي[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 116) من مهاجمة جلقية والتوغل حتى بازو(Vizeu) (سالم، 1962، صفحة 239). ولدينا معلومات اخرى عن خروج صائفة اخرى عام (213هـ/ 862م) بقيادة عبيدالله البلنسي فجال في أرض العدو حتى بلغ برشلونه وظل يستمر ويخرب بها ستين يوماً (ابن عذاري، 1883م، صفحة 83/2).

توقفت الغزوات بعد ذلك ولم تستأنف الا عام(223هـ/838م) فأرسل الأمير عبد الرحمن الثاني ثلاث حملات متتالية إلى مملكة اشتريس اولها حملة بقيادة اخية الوليد بن الحكم فدخل جليقية من جهة الغرب فنازلو حصن الفرات وقتلوا اهله، وغنموا ما فيه وسبوا النساء والذرية وعادوا (ابن عذاري، 1883م، صفحة 85/2). وفرقة اخرى تحت قيادة سعيد الخير اخ الأمير عبد الرحمن الثاني، وقد تمكن من دخول البه وقشتاله القديمة، والثالث بقيادة اخية امية ونجح في هجومه على حصن القرية(Alqueria) (سالم، 1962، صفحة 240).

في العام التالي(224هـ/839م) ارسل الأمير جيشا بقيادة عبيدالله بن عبدالله البلنسي فاخترق البه في جليقية واكثر القتل والسبي في العدو الأمر الذي دفع الفونسو الثاني إلى الانتقام، فأغار على مدينة سالم(Medinacle) فسار اليه فرتون بن مرسى وقاتله واستطاع ان يهزمة ويهدم الحصن الذي بناه اهل البه بالثغر نكاية بالمسلمين (النويري، 1917م، صفحة 381/23).

---

[*] فرج بن مسرة بن سالم(217هـ/ 832م)، سماه ابن حزم فرج بن سالم ناسياً اياه لجده، وسالم المذكور هو سالم بن ورعمال بن وكذات المصموي من موالة بني مخزوم واليه تنسب مدينة سالم، اما حفيدة الفرج بن مسرة فهو الذي تنسب اليه مدينة الفرج، التي كانت تسمى وادي الحجارة احدى مدن الثغر الاوسط.

[*] عباس بن عباله بن مروان القرشي، تلب في كثير من مناصب الدولة الكبرى، اذ ولاه الامير هشام بن عبد الرحمن على باجة(Beja)، ثم ولي الوزارة وقيادة الجيوش للخكم بن هشام، وقد ظل على القيادة والوزارة في عهد عبد الرحمن الاوسط حتى وفاته عام(219هـ/84م).

بلا شك ان تدمير القلاع والحصون والاستيلاء على ما تحويه من ذخائر ومؤمن الحق ضربات موجعة بالاقتصاد الشمالي الفقير، لكن هذه الحرب الاقتصادية ضد النصارى كان لها نتائجها السلبية على المسلمين إذ اصبحت الاغارة على الثغور الاسلامية من اجل السلب والنهب تشكل احد اسباب الغنى للنصارى الأمر الذي زاد من متاعب قرطبة.وفي العام(225هـ/840م) خرج الأمير عبد الرحمن بنفسه إلى جليقية فطالت غزواته وناله التعب (ابن عذاري، 1883م، صفحة 85/2)، ويبدو ان الأمير لم يعتد حياة الغزو والجهاد وما يتبعها من مشقة وتعب، ويبدو كذلك ان حنينه لقرطبة وحياة اللهو والترف كانت مسؤولة عن جزء كبير من هذا التعب، حتى انه دعا الشاعر ابن الشمر[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 123) ووصف له ارقه وحنينه لمن في قرطبة فنظم له القصيدة التي مطلعها:

عداني عناك مزار العدى وقودي اليهم لهاما مهيباً

(ابن عذاري، 1883م، صفحة 86/2)

وحاول بعض المستشرقين ان يقللوا من كفاءته العسكرية والتي ارى انها دس مقصود للتعليل من شأن الأمراء المسلمين والتي كان من نتائجها يذكر قلة نجاحه في غزواته بدليل انه لم يعد يكثر من الخروج للغزو بنفسه (سالم، 1962، صفحة 240)، فنراه يرسل بالصائفة إلى جليقية في العام التالي (226هـ/841م) ابنه المطرف (ابن عذاري، 1883م، صفحة 86/2)، وكان قائد هذه الحملة القائد عبد الواحد الاسكندراني[*] (ابن القوطية، 1975، صفحة 89)، وعلى العموم فان خروج المسلمين إلى جليقية بدا يخف بصورة عامة. والحقيقة ان قلة خروج المسلمين لجليقية منذ ذلك الوقت يعود لأسباب خاصة بجليقية نفسها إذ كانت مشغولة بأحداثها الداخلية بعد وفاة الفونسو الثاني(227هـ/ 842م) فلم تزعج المسلمين، وبالطبع لاحظنا ان حرب المسلمين ضد نصارى الشمال كانت دفاعية بالدرجة الاولى (ابن القوطية، 1975، صفحة 89). وفي العام(231هـ/846م) ارسل عبد الرحمن ابنه محمد على راس حملة وصلت إلى مدينة ليون(Leon) فحاصرها وروموى اسوارها بالمنجنيق فخاف اهلها وخرجوا فارين تاركين ما فيها من مغانم فحاولوا هدم سورها فلم يستطيعوا لسماكته إذ بلغ عرضه سبعة عشر ذراعاً

---

[*] عبدالله بن الشمر: من اهل وشقه، ويكنى: ابا محمد، كانت له عناية بالعلم وطلب مشهور، وله رحله، وكان متقننا في العلوم شاعرا جيد الشعر.

[*] عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني: قدم الى الاندلس حدثا، وكان يشدو شيئا من الغناء، فاتصل بالحاجب عيسى ابن شهيد، فلما راى منه نجابة وكفاية نصحة بان يسمك عن الغناء وكتفي بادبه وفضله، ففعل، واوصله الحاجب الى الامير عبد الرحمن، فاعجب به وقربه، وتدرج في وظائف الدولة حتى الوزارة والقيادة، توفي عام (237هـ/851م).

(النويري، 1917م، الصفحات 384/23-385). وفي عام(237هـ/851م) أرسل بالصائفة ابنه المنذر نحو البه والقلاع وقاد الحملة عبد الواحد الاسكندراني فغزا تلك النواحي وافتتح بعض الحصون وعاد بكميات من الغنائم بعدما سمع بوفاة الملك ردمير الاول (ابن حيان، 1968، صفحة 144). واخر غزوة سيرها نحو الشمال كانت عام(238هـ/ 852م) عرفت باسم وقعة البيضاء (Albelda)[*] (العذري، 1965، صفحة 147) انتصر فيها الجيش الاسلامي نصرا كبيرا مع ان اليوم الاول من المعركة لم يكن لصالحهم فاستشهد عدد كبير منهم واصيب موسى بن موسى بخمس وثلاثين طعنة لكنه في اليوم التالي تقدم الصفوف متحاملا على الم جراحه مما كان له الاثر الكبير في اثارة حماسة الجيش الاسلامي فهزم النصارى شر هزيمة (ابن حيان، 1968، صفحة 156).

استلم الأمير محمد(238-273هـ/ 852-886م) الحكم في وقت تمزقت فيه وحدة الأندلس وقام التمرد بسائر انحائها ضد حكومة قرطبة، واستغلوا بحكم المناطق التي ثاروا فيها، حتى انه لم تعد سلطة الأمراء في الأندلس تمتد إلى اكثر من اقليم قرطبة، وتعددت اصناف المتمردين فمن المولدين اعلن موسى بن موسى منطقة الثغر الاعلى في شمال شرق الأندلس ولاية مستقلة عاصمتها سرقسطة (العذري، 1965، صفحة 30)، وفي غرب الأندلس استقل عبد الرحمن بن مروان الجليقي في بطليوس، وكذلك عمر ابن حفصون الذي زرع الرعب في البلاد وقطع الطريق واتخذ قاعدته حصن ببشتر(Bobastro) (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 102/2-104).

إلى جانب هؤلاء استطاع البربر ان يتخذوا مراكز نفوذ لهم فسيطروا على طليطلة بزعامة موسى بن ذي النون، وجيان بزعامة بنو الملاخ (سالم، 1962، صفحة 243) ولم تفت عملية التقاسم هذه زعماء العرب حيث اتخذ بنو الحجاج وهم من العرب اليمانية من اشبيلية وقرمونه قواعد لهم (سالم، 1962، صفحة 243).

صرف الأمير كل جهوده ووقته لمعالجة أخطر ازمة سياسية تعرضت لها الأندلس حتى ذلك الوقت، الا انه لم يستطع تجاهل خطر الدويلات النصرانية في الشمال التي اخذ عددها يزداد أقوتها كذلك، واخذت بالتوسع تدريجيا على حساب الممتلكات الاسلامية، فحاول ان يضع حدا لهذا الزحف نحو الجنوب (الصوفي، 1980م، صفحة 267).

---

[*] البيضاء(Albelda): وهي مجاورة لمدينة بقيرة من بلد بنلبوته، انشا بها موسى بن موسى القسوي حصنا صغيرا، وتذكر الروايات المسيحية انه لم يكد موسى بن موسى ان يتم بناؤه حتى حاصره ملك جليقية واشتوريوس اردون الاول، فخرج موسى للقائه ودارت بين الطرفين معركة حامية تعرف باسم كلابيجو(Clavijo) وان المسلمين ايبوا فيها بهزيمة منكرة.

فنراه يبدا نشاطه العسكري ضد نصارى الشمال عام(239هـ/853م) بإرسال حملتين احدهما بقيادة اخيه الحكم بن عبد الرحمن لإصلاح قلعة رباح (ابن حيان، 1968، صفحة 293) والثانية بقيادة موسى بن موسى صاحب تطلية(Tudela) فتوغل في نواحي البه والقلاع وفتح بعض حصونها وعاد (الصوفي، 1980م، صفحة 267)

وكان اهل طليطلة قد اعلنوا التمرد على الأمير في نفس عام ولايته وكانت المدينة تعج بالمولدين والنصارى فخافوا من ردة فعل قرطبة، فالتمسوا العون من اور دنيو الاول فلم يتردد في تقديم كل وسائل المساعدة للمتمردين، إذ كانت مصلحتة تقتضي اشعال نيران الحرب الاهلية في الأندلس، فبعث اليهم جيشاً بقيادة غاتون(Gaton) عام (140هـ/ 854م) (النويري، 1917م، صفحة 387/23)، ولكن لتدخل النصارى في شؤون البلاد الداخلية اثره في إذكاء حماسة المسلمين الدينية فسارعوا بالانضمام لجيش الأمير من كل صوب، فخرج ببعض قواته إلى طليطلة بينما ترك بقية جيشه مستترا بالتلال عند وادي سليط، فلما رأى اهل طليطلة قلة الجيش المحاصر خرجوا لقتاله مع حلفائهم النصارى، فتظاهر الأمير بالهزيمة نحو وادي سليط، وعندئذ برزت قواته من مكامنها واطبقت على المتمردين وحلفائهم النصارى، وقتل منهم اعداد هائلة تقدرها المصادر الاسلامية بأحد عشر الفا وقيل عشرين الف، ثمانية الاف منهم من الجلالقة (ابن حيان، 1968، الصفحات 296–297). وفي العام التالي(241هـ/855م) قاد الأمير محمد الصائفة وكان قد كتب إلى موسى بن موسى واهل الثغور بأن يانوا اليه، فدخلوا جميعا إلى منطقة البه والقلاع وبلغوا اقصى جليقية وفتحوا كثيرا من الحصون (ابن حيان، 1968، صفحة 304).

انشغل الأمير بعد ذلك بعودة ظهور النورمانيين على سواحل الأندلس عام (245هـ/ 859م) كما شغله ايضا ظهور قوة نبرة وتحالفها مع بن قسي الذين عادو (للتمرد وطلبوا من الأمير ان لا تكون طريق القوات الاسلامية المهاجمة عبر منطقتهم، نظرا لما نالهم من الأذى ونال اراضيهم من دمار، فأجابهم الأمير إلى ذلك، رغم ان طلبهم يعتبر تملصاً من واجب في الدفاع عن الثغور وضغطا على حكومة قرطبة بوضع العوائق امامها بعدم تسهيل مهمة جيوشها، خصوصا ان ذلك كان نتيجة التحالف الذي تم بينهم وبين ملوك نبره (ابن حيان، 1968، صفحة 307) فنرى صائفة عام(237هـ/861م) تسير نحو البه والقلاع ولكن من طريق اخر فعاثت في اراضي النصارى تدميرا (ابن عذاري، 1883م، صفحة 97/2)

تميزت حملة عام(239هـ/ 863م) والتي وجهت إلى جليقية بقيادة عبد الرحمن ابن الأمير محمد والقائد عبد الملك بن العباس، بكثرة القوات المشتركة بها من كل المقاطعات والكور والتي بلغ فيها عدد المتطوعين 21–22 الف مقاتل، وكان الأمير محمد قد قام بإلغاء ضريبة الحشود من باب التخفيف على الناس والاكتفاء بدعوتهم للتطوع في الجيش (الصوفي، 1980م، صفحة 246) ، وبعد دخول القوات الاسلامية للمنطقة وتدميرها، اخرج

الملك أردنيو اخاه إلى مضيق الفج ليحول بينهم وبين المسلمين ويقاتلهم عنده، فتقدم عبد الملك بن عباس إلى المضيق واشتبك مع النصارى لكنه لم يحرز نصرا حاسماً عليهم رغم الامدادات، صبر النصارى في تلك المعركة صبراً عظيما بشهادة المؤرخين المسلمين، ولكنهم هزموا في النهاية وقتل من قادتهم فقط تسعة عشر مما يدل على عنف المعركة (ابن حيان، 1968، صفحة 318). وما لبث ان سير حملة اخرى عام (251هـ/ 865م)، وكان على راس الحملة المنذر بن عبد الرحمن، اما قيادتها فكانت للحاجب عيسى بن الحسن بن ابي عبيدة فاجتاح الجيش جليقية حتى وصل ناحية دويرة(Duero)، ثم توافد الجند عليه من كل ناحية، فتقدم بهم نحوفج برذيش (Pardanas) وكانت عليه اربعة حصون للنبلاء والسادة في تلك المنطقة فتغلب الجند عليها وغنم المسلمون من جميع ما فيها وخربوها حتى لم يبق للذريق صاحب القلاع ولا لقائده صاحب توقه، ولا لفند شلب (Conde de silvies) صاحب برجية ولا لقومس (Comez) صاحب مسانقه، حصن من حصونهم الا وعمه التدمير (ابن حيان، 1968، صفحة 319). ثم قصد الملاحة(la Burebu) وكانت من اجمل أعمال لذريق فدمرها، واثناء تقدمه تصدت له جيوش النصارى عند الفج المعروف باسم المركوين(MalaCuera) والذي كان لذريق قد عنى بتحصينه لمنع الجيوش الاسلامية من عبوره ورغم ذلك كان النصر حليف المسلمين وتفرقت حشود النصارى (ابن خلدون، 1971، صفحة 167).

وبعد قسط من الراحة عاود المسلمون القتال واحرزوا نصرا كبيرا هذه المرة ايضا حتى اضطروا جنود العدو الفارين إلى خوض نهر ابره(Ebro) فغرق عدد كبير منهم، وتقدر اعداد القتلى من النصارى بـ(20472) رجلا (ابن عذاري، 1883م، صفحة 99/2) ومن الغريب جدا تحديد الرقم بمثل هذه الدقة لم يترك الأمير محمد فرصة لأعدائه للاستراحة ولم شتات انفسهم فأعاد الكرة ضدهم في العام التالي(252هـ/866م) بقيادة ابنه عبد الرحمن (ابن عذاري، 1883م، صفحة 99/2) فغزا منطقة البه والقلاع وترك اهلها في وهن شديد فركنوا للسكينة، وتصادف ذلك مع وفاة ملكهم اوردنيو(252هـ/ 866م) فخلفه ابنه الفونسو الثالث(252–296هـ/866–910) والذي انشغل بالثورات الداخلية ضد حكمه (ابن الخطيب، 1956، صفحة 324/2).ثم عاد الأمير إلى غزو المنطقة في العام التالي(253هـ/867م) حيث ارسل ابنه الحكم بصائفة وقادها خالد بن خالد فضرب الحصار على حصن جرنيق(Guernica) وفتحة وغنم المسلمون ما فيه (ابن حيان، 1968، صفحة 321).

توقفت الحملات إلى الشمال النصراني بعد هذه الحملة، فلم نسمع عن حملات عسكرية حتى عام (266هـ/880م) وذلك بسبب انشغال الأمير محمد بإخماد فتنته النصارى المتعاضدين معه الذين حرضوا اهل طليطلة وماردة على التمرد (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 100/2–101).

انتهز الفونسو الثالث هذه الاوضاع شجع كل خارج عن حكومة قرطبة، فمد يد العون وتحالف مع ابن مروان الجليقي، واستطاع الطرفان هزيمة قوات الأمير التي قادها المنذر بن محمد والوزير هاشم بن عبد العزيز فاسر الاخير وارسل إلى ليون وبعد فك اسره اراد الانتقام فخرج في حملة إلى ماردة لكن الجليقي هدد بحرق بطليوس إذا تجاوزت قواته مدينة لبله(libla) فرجع هاشم عنه (ابن عذاري، 1883م، صفحة 103/2). وفكر الأمير باتخاذ خطوة جديدة في الحرب على اعدائه الا وهي غزو جليقية من ناحية البحر، فاصدر اوامره ببناء السفن فلما تم له ذلك وجهها إلى المحيط الاطلسي عام (266هـ/879م) بقيادة قائد الاسطول عبد الحميد بن مغيث، ولكن ولسوء الحظ داهمت العواصف المراكب ودمرتها قبل ان تصل إلى هدفها، واضطر ما بقي منها للعودة إلى قواعدها دون القيام باي عملية حربية (ابن حيان، 1968، صفحة 398)

رد الفونسو الثالث على ذلك بأن قام في العام التالي(267هـ/880م) بغزو الاراضي الاسلامية، وعبر نهر دويره والتاجه ووصل في تقدمة حتى احواز ماردة ووادي انه وهو مدى لم يصله احد من ملوك النصارى من قبل (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 146). إزاء ذلك أرسل الأمير محمد سنة(268هـ/781م) جيشا بقيادة المنذر وهاشم نحو البه والقلاع، ففتحوا حصن روطة وحصونا كثيرة وتركوا حاميات في بعضها، بينما تركوا البعض الاخر خاليا من الجند خوفا من سقوطه مجددا بيد العدو نظرا لضعف إمكاناته الدفاعية (ابن عذاري، 1883م، صفحة 105/3). واهتم الأمير محمد بتحصين أطراف الثغور، فأقام عددا من القلاع الدفاعية الحصينة، فابتنى حصن شنت اشتيبن لحماية مدينة سالم، وحصون طلمنكه ومجريط بمدينة وادي الحجارة لحماية طليطلة (عنان، 1952م، صفحة 307)، وحصون قنالش(Canales) ودلموش(olmos) وقلعة الحلفا(Salataifa) على سفوح جبال وادي الرمل الجنوبية (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 146)

أما النصارى من جهتهم فقاموا ببناء المدن الحصينة بعد أن وصلت حدودهم حتى نهر دويرة في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاس الميلادي وهي مدن سمورة(Zamora) وسمينقه (Simancas)، وسان اشتيبأن(San steven de Grmas) واسمه (Osma) (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 146). وفرضت هذه القلاع الحصينة على الطرفين واقعا جديدا، فنجد ان غزوة عام (270هـ/ 883م) والتي خرجت بقيادة المنذر وهاشم قد انتهت بعقد الصلح، وبالطبع رحب الفونسو الثالث بهذا التصالح وارسل القس دولشديو سفيرا إلى قرطبة لإرساء دعائم هذا الصلح، ونجحت السفارة فتنفس الفونسو الثالث الصعداء لأنه اراد التفرغ للازمات والمشاكل الداخلية (بروكلمان، 1948، صفحة 290). أما قرطبة وبعد وفاة الأمير محمد عام(273هـ/886م) فقد جاءها الخطر الجسيم من الداخل خاصة بتمرد عمر بن حفصون كبير المتمردين واخطرهم، كما كان بنو قسي وبنو الطويل المولدون، وبنو تجنب العرب قد تنازعوا فيما بينهم من اجل السيادة على الثغر الاعلى واستعانوا بملوك

جليقية ونبرة ضد بعضهم البعض (ابن القوطية، 1975، الصفحات 115-124). لذلك توقفت حملات قرطبة نحو الشمال واضطلع حكام الثغور بهذه المهمة، فقام محمد بن لب ابن موسى القسوي سنة(273هـ/ 886م) وهي السنة نفسها التي تولى فيها المنذر الإمارة بمهاجمة البه والقلاع، وفتح بعض حصونها، لكنه ما لبث ان قتل امام اسوار سرقسطة (285هـ/898م) بعد ان فشل في الاستيلاء عليها من بني تجيب (العذري، 1965، صفحة 37).

انتهز الفونسو الفرصة وحشد نصارى جليقية والبه والقلاع وبملبونه واغار بهم على الثغر الاعلى، فتصدى له لب بن محمد بن لب الذي خلف اباه على تطيله وطرسونه واستطاع ان بعزمه ويقتل من قواته ستة الآف وتخليص جميع الأسرى الموجودين بيد النصارى (العذري، 1965، صفحة 37). وبالطبع قام حكام الثغور بهذه الحملات بدافع الحفاظ على مصالحهم واستقلالهم ولم يكن الدفاع عن قرطبة في حسابهم إذ إنهم هم أنفسهم كانوا خارجين عن حكومة قرطبة.وقد عانى سكان الثغر الاوسط اكثر من غيرهم واشتد احساسهم بالخطر بعد بناء مدينة سموره (280هـ/893م) حيث اتخذها النصارى قاعدة للانطلاق بالإغارة على الاراضي الاسلامية المجاورة (دوزي، 1994م، صفحة 17/2)، لذلك رحب سكان هذه المناطق بدعوة احمد بن معاوية المعروف بالقط[*] (ابن حزم الاندلسي، 1983م، صفحة 97) للجهاد ومهاجمة سموره (288هـ/901م) فخرج معه اهل طليطلة وطلبيرة ووادي الحجارة وشنتبرية والبربر المجاورين لسموره واستطاع الانتصار على قوات الفونسو الثالث، الا ان المسلمين ابوا الا ان يزرعوا بذور نباتهم في تلك الأراضي بأيديهم لشدة حسدهم وغيرتهم من بعضهم البعض، واقتصر تفكيرهم على اشتداد امر ابن معاوية في حالة نصره، وكان انتصار الفونسو الثالث وتحكمه في رقابهم اهون عليهم، من نصره ابن معاوية لذا انهزموا وتركوا ابن معاوية يواجه مصيره المحتوم بمفرده أمام الفونسو الثالث فقتله وعلق راسه على باب سموره وصار هذا اليوم يعرف باسم يوم سموره واستطاع النصارى ان يتركزوا في تلك المناطق خلال تلك الفترة (ابن عذاري، 1883م، صفحة 140/2).

المبحث الثاني: العلاقات السياسية مع كتالونية (برشلونه)

بعد أن فشل شارلمان في حملته على الأندلس(161هـ/ 777م) نراه يعنى بتنظيم مقاطعة اكيتانيا في الجنوب لكي يقع على عاتقها العبء الرئيسي للدفاع عن فرنسا ضد أي محاولة للتوغل يحاول الحكام المسلمين القيام بها (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 149).

---

[*] أحمد بن معاوية بن محمد بن هشام بن معاوية بن الأمير هشام الملقب بابن القط: كان منكبا على دراسة الكيماء والسحر، كما كان طامعا في العرش، واعلن بين البربر انه المهدي المنتظر، وحتم عليهم الانضمام إلى صفوفه ليسير بهم جميعا ضد سموره.

بعد ذلك ساد الهدوء حدود الدولتين العربية في الأندلس والفرنجية في فرنسا، فلم يعرف عن الأمير عبد الرحمن الداخل انه قام باي غزوة في أراضي الفرنجة، كما ان شارلمان لم يعد إلى التدخل في شؤون الأندلس ولو لبعض الوقت (المقري، 1388هـ/1968م، الصفحات 330/1–331). وفي العام(177هـ/793م) تأهب هشام لمحاربة الفرنج واستئناف الجهاد ضدهم، فسير إلى اليهم حملة ضخمة بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث فعبر البرنية من جهة قطلونية، واستطاع ان يدمر جيرونه(جرندة) ويخرب أسوراها وكان الفرنجة قد استولوا عليها منذ العام(169هـ /785م) (ابن الاثير، 1980، صفحة 135/6). واستولى الحاجب بن عبد الملك بعد ذلك على عدد من المعاقل والحصون، ثم مضى إلى أربونه قاعدة الثغر الاسلامي القديم في سبتمانيا، وظل شهورا يحرق القرى ويدمر الحصون ووطأ أرض شرطانية(Sardaigne) (ابن الاثير، 1980، صفحة 135/6)

تذكر الروايات الاسلامية ان المسلمين افتتحوا خلال تلك الحملة أربونة (ابن الاثير، 1980، صفحة 135/6)، ولكن الروايات لفرنجية تنكر هذا الفتح وتذكر ان المسلمين ارتدوا عن اربونه لمناعتها إلى قرقشونه (عنان، 1952م، صفحة 180). وكان شارلمان مشغولا آنذاك بمحاربة السكسونيين، فتصدى للحملة الاسلامية ولده لويس امير أكيتانيا، بأن اوفد لمحاربتهم جيشا بقيادة جيوم كونت (تولوز)، فالتقى الفريقان في مكان يسمى فيل دني على ضفاف نهر أوربينا بين اربونه وقرقوشه، ونشبت بين الطرفين معركة غير حاسمة ارتد على أثرها المسلمون إلى الجنوب مثقلين بالغنائم والسبي (ابن الاثير، 1980، صفحة 135/6)، وقدرت اخماس السبي وحدها بخمسة واربعين الفا من الذهب العين (ابن عذاري، 1883م، صفحة 64/2) وبالغت بعض المصادر حين ذكرت انه بلغ من شدة تحكم هذا القائد ان اشترط على المعاهدين من اهل جليقية نقل عدد من احمال التراب من سور أربونه إلى باب قصر الإمارة بقرطبة، ومنها بنى المسجد الذي يقع تجاه باب الجنان احد ابواب قصر الإمارة (المقري، 1388هـ/1968م، صفحة 337/1). ومن تحليل الرواية استبعد إمكانية حدوث مثل هذا الأمر على أساس بعد أهل جليقية الذين يعيشون في اقصى الشمال عن أربونه التي تبعد عنها الاف الأميال وتقع في اقليم سبتمانيا شمالي جبال البرنية بمسافة كبيرة وعلى الارجح ان هذا الشرط فرض على اسرى مدينة أربونة (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 135).

إن انشغال قرطبة بأحوالها الداخلية اتاح الفرصة للفرنجة لان تعبث بثغور المسلمين فاستولوا على برشلونه سنة(185هـ/801م)، واتخذوا منها قاعدة للثغر القوطي الذي نما فيما بعد وأصبح إمارة نصرانية قوية هي إمارة قطلونية، وارتدت حدود الإسلام إلى الثغر الأعلى، بعد أن كانت تجاور جبال البرنية (ابن الاثير، 1980، صفحة 169/6).

وفي سنة(187هـ/803م) استولى الفرنجة عن مدينة تطليه(Tudela)، وسبب ذلك ان عمروس ابن يوسف[*] (العذري، 1965، الصفحات 27–28) قام بعدة حملات متكررة على مناطق النصارى واوقع باهلها، غير ان جيوش النصارى تكاثرت عليه، فخرج منهزما وهم يطاردونه حتى التجا إلى حصن تطليه وامتنع به، بينما رجع عنه النصارى خوفا من التعرض لمزيد من المخاطر من جانب المسلمين، وعقب ذلك قام عمروس بتعمير وتحصين تطليه واسند حكمها إلى ابنه يوسف (العذري، 1965، صفحة 28). وكان بنو قسي في ذلك الوقت خارجين على الطاعة وحلفاء لأصهارهم بني ونقة النصارى ملوك نبره، لذلك حرضوهم على مهاجمة تطلية واعانوهم وحلفاءهم الفرنجة على ذلك، وبهذه المعونة تمكن الفرنجة من دخولها عنوه واسروا واليها يوسف بن عمروس وسجنوه بصخره قيس بأراضي بنبلونه، وعندما بلغ عمروس ذلك، لم يتردد في ارسال حملة كبيرة بقيادة ابن عمه شبريط المولد والي وشقة فتمكن من الايقاع بالنصارى وتحرير يوسف بن عمروس من الاسر (ابن الاثير، 1980، الصفحات 187/6–188). كذلك شارك عمروس في الحملات التي سيرها الأمير الحكم ضد الفرنجة، حيث تشير المصادر إلى ان الفرنجة بقيادة لويس التقي بن شارلمان هاجموا منطقة الثغر الاعلى، وحاصروا مدينة طرطوشه سنة(193هـ/809م) فبعث اليهم الحكم جيشا بقيادة ابنه عبد الرحمن وانضمت اليه قوات الثغر بقيادة عمروس والي سرقسطة وعبدون والي طرطوشه، ودارت بين المسلمين والفرنجة معركة انتهت بهزيمة الفرنجة وانقاذ طرطوشه (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 72/2–73).

حاول الحكم استرجاع برشلونه، فارسل عبيدالله بن عبدالله البلنسي بالصائفة عام (195هـ/ 811م) فهاجم برشلونه وهزم الفرنجة لكنه لم يحرز فتوحا ثابته (ابن سعيد المغربي، 1955، صفحة 15/1)، وشعر الفرنجة، كما شعر المسلمون بعقم هذه الحملات فاثر كلا الطرفين التفاهم والمهادنة وهكذا عقد السلم بين الحكم وشارلمان، واستمر معقودا حتى وفاة شارلمان، بعد ذلك بأعوام قلائل في سنة(199هـ–814م) (عنان، 1952م، صفحة 238). اعتلى لويس بن شارلمان العرش بعد وفاة والده(199–226هـ/814–840م)، وفشلت جهود الحكم في السيطرة على منطقة الثغر الاسبأني مما اضطره للاعتراف رسمياً عام (201هـ/816م) بسيطرة الفرنجة على برشلونة (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 156).

---

[*] عمروس بن يوسف الوشقي: لعب دورا هاما في عهد الامير الحكم الربضي، وكان عمروس هذا قد اكتسب ثقة الأمير، فولاه الأمير الحكم على طلبيرة، ثم نقله الى ولاية طليطلة لإخماد فتن المولدين بهذه المدينة، ونجح في ذلك حيث اوقع بزعماء التمرد بطليطلة في وقعة الحفرة الشهيرة سنة(181هـ/797م)، بعد ذلك اسند اليه الحكم حكم سرقسطة في منطقة الثغر الاعلى للقضاء على تمرد بهلول بن مرزوق فنجح في ذلك، وأعاد الأمن والاستقرار اليها بعد فترة من الفتن والاضطرابات طال امدها.

واستعان امراء الثغر الإسباني الفرنجة ضد بعضهم البعض بالأمير عبد الرحمن الثاني، وذلك ان ايزون(Aison)– أحد النبلاء القوط المنحدرين من سلالة القوط– ثار ضد برنارد بن جيوم كونت تولوز في اقليم برشلونه سنة(209هـ/824م)، واستولى على عدد من المدن والحصون مثل حصن اوسونه، واستنجد بالأمير عبد الرحمن ضد ابناء جلدته الفرنجة (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 156). انتهز الأمير عبد الرحمن هذه الفرصة، وقام بإرسال عبيدالله البلنسي على راس صائفة عام (212هـ/827م) لمحاصرة برشلونة، فستقتل حاكمها برنارد في الدفاع عنها ولم يتمكن عبيدالله من فتحها، فاضطر إلى رفع الحصار عنها، واجتاح ولاية قطلونية حتى جرندة في اقصى الشمال، ثم عاد إلى قرطبة بعد غياب دام شهرين دون ان يستطيع تحقيق نتائج حاسمة (ابن الاثير، 1980، صفحة 408/6).

عانت مملكة الفرنجة بعد وفاة لوس التقي فترة من الفوضى والاضطرابات السياسية نتيجة الصراع على العرش بين شارل الاصلع(226–264هـ/840–877م) الذي ورث عرش والده وبين ابن اخيه ببين الثاني ملك اكتانيه الذي طلب مساعدة المسلمين. وأرسل كونت تولوز المسمى عليالم بن برباط بن عيالم إلى قرطبة، يطلب العون والتأييد، فاستقبله الأمير عبد الرحمن الاوسط بترحاب شديد، وارسل جيشاً بقيادة عبد الكريم بن مغيث إلى برشلونه تمكن من اخراج شارل الاصلع من معظم مدن قطلونية.وعين غليالم حاكماً لبرشلونه (ابن خلدون، 1971، صفحة 166) وكان الأمير قد كتب لعامله على طرطوشه عبدالله ابن يحيى، وعامله على سرقسطة عبدالله بن كليب، في امداده وتأييده في ثورته ضد ملك الفرنجة (ابن حيان، 1968، صفحة 145).

بعد عوده الجيش الاسلامي إلى قرطبة فتح المجال امام شارل الاصلع لترتيب اموره وجمع قواته من جديد وتمكن من انزال الهزيمة بمعارضيه وقتل غاليالم(غليوم) لتحالفه مع المسلمين وفتح ابواب برشلونه لهم (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 157)، فارسل الأمير عبد الرحمن عام(227هـ/841م) جيشا بقيادة عبيدالله البلنسي، فلما وصل بين اربونه وشرطانية، فوجئ بالأعداء يحيطون به من كل ناحية عندما بدا الليل يرخي سدوله، فاضطر المسلمون للقتال طوال الليل ومع انبلاج الصباح بدأت هزيمة العدو تظهر (ابن عذاري، 1883م، صفحة 86/2) كانت الأمور تسير لصالح الفرنجة باستمرار حتى ان الأمير الجديد(محمد بن عبد الرحمن) اخذ يكلف عماله على الثغر الاعلى بمهمة مقارعة الفرنجة، فكتب إلى موسى بن موسى القسوي بأن يحشد قواته ويهاجم برشلونه، فدخلها موسى عام(242هـ/856م) وحارب قلاعها وتجاوزها حتى وصل حصن طراحة وهو اخر حصون برشلونه، ثم عاد إلى سرقسطة بعدما امتلأت يداه بالغنائم، ومن خمس غنائم ذلك الحصن بنيت الزيادة في المسجد الجامع بسرقسطة، وكان الذي اسسه التابعي حنش الصنعاني (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 65/2–66).

وفي العام(247هـ/861م) اتجه القائد محمد بن السليم إلى برشلونه، وكان موسى بن موسى قد كتب للأمير محمد يذكر له ما ناله وجماعته من التعب والعناء في قتال العدو ويطلب إليه أن يكون دخول الجند من غير منطقته، فأجيب إلى طلبة واتبع الجيش الاسلامي طريقا آخر (النويري، 1917م، صفحة 389/23). وعند وصول هذا الجيش إلى برشلونه، أرسل اهلها يطلبون المدد من ملك الفرنجة، فارسل لهم جيشاً كبيراً مما اضطر المسلمين بدورهم لطلب المدد، فوصلهم (النويري، 1917م، صفحة 389/23) واقتتل الطرفان حتى انهزم الفرنجة واستولى المسلمون على ارباض المدينة وبرجين من ابراجها، وقتلوا الكثير من الفرنجة وعادوا ظافرين (النويري، 1917م، صفحة 389/23)، ازاء هذه الضربات الموجعة المتكررة التي انزلت بالفرنجة وجد الملك شارل الاصلع نفسه مضطرا لان يوقع الصلح مع الأمير محمد عام (250هـ/864م) تعهد من خلاله الا يعود لمساعدة نصارى الشمال الإسباني، بالمقابل لم يعد المسلمون يرسلون حملات مستمرة منتظمة لمحاربة ملوك الفرنجة، لكنهم كانوا يضطرون احيانا للإغارة على هذه المنطقة حتى انهم وصلوا جبال البرنية (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 158)، ومما يجدر الاشارة اليه في هذا المجال انه عام (270هـ/881م) شرع اسماعيل بن موسى ببناء وزيادة تحصينات مدينة لاردة ومعروف ان لاردة تقع على مسافة قريبة من برشلونه الأمر الذي اقلق كونت برشلونه فخاف من هجمات مسلمي لاردة إذا تم لهم تحصينها، فجمع جموعه واشتبك مع اسماعيل لكن النصر كان حليف المسلمين في هذه الموقعة (ابن خلدون، 1971، صفحة 169).

ازدادت الاوضاع المتردية للدولة الاسلامية من جراء العمليات التي استهدفت المناطق الاسلامية وهدفت إلى الحاق اكبر قدر ممكن من الدمار بالمسلمين، فقاد شنير(Sunier) كونت امبروس(Ampirus) عام (276هـ/889م) حملة بحرية مكونة من خمس عشرة سفينة حربية اغارت على ساحل المريه، واحرقت الكثير من السفن الاسلامية الراسية هناك، فتصدى لها اهالي بجانه، وقاوموا الغزاة حتى تم الصلح على ان يغادر هؤلاء الغزاة ولا يعودوا مرة اخرى (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 159) وتولى شنير حكم برشلونه بعد مقتل والده المدعو عنقديد عام (284هـ/897م) في غارة شنها لب بن محمد القسوي صاحب الثغر الاعلى على حصن اتوره من أعمال برشلونه (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 160). وفي العام(299هـ/911م) خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى برشلونه فأغار على تلك الجهات وعند وصوله إلى وادي طراده كان شنير قد سبقه واعد له الكمائن في الجبال، لكن ابن الطويل تمكن من هزيمته وقتل عدد كبير من خصومه، لكن الدائرة درات عليه حيث قتل في العام التالي خلال حملة جديدة قادها إلى قطلونية (ابن عذاري، 1883م، صفحة 149/2) وهكذا بقيت هذه المناطق خارجه عن حكم المسلمين رغم كل المحاولات التي بذلوها لإخضاعها والسيطرة عليها فحرب المسلمين ضد نصارى الشمال كانت حرباً وقائية بالدرجة الاولى، فالمسلمون في الغالب لم يقودوا الحملات إلى الشمال الإسباني الا لرد عدوان او حماية الثغور، مما اعطى نصارى الشمال الفرصة لإعادة ترتيب صفوفهم لاستئناف حربهم ضد

المسلمين من جديد. ويبدو من خلال تركيز الروايات على حصول المسلمين على الاسلاب والغنائم، ما يدعو للقول ان المكاسب المادية كانت احدى الدوافع وراء توجه الحملات للشمال، خصوصا وان نسبة كبيرة من الجيش النظامي كان من الجنود المرتزقة، كما أنه استخدم النصارى بشكل واضح في جيوش الدولة الاسلامية (كحيلة، 1993، الصفحات 160-161) وواضح رغم عبارات التعظيم والمبالغة التي استخدمها مؤرخونا لتضخيم دور الأمراء المسلمين في الجهاد انها لم تتعد كونها استعراض عسكري كان هدفها اظهار قوة قرطبة وفرض السلطة والهيبة وتوفير الامن لسكان الثغور ثم العودة سريعا للجنوب حيث التمردات المتلاحقة، ولم يكن هدفها على الاطلاق القضاء على الدويلات النصرانة فذلك لم يعد ممكنا لعدم توفر الوقت والامكانيات. فحكومة قرطبة كانت تركز نفقاتها في إصلاح البلاد وأعمارها بدلا من الإنفاق على الحملات العسكرية التي كانت مكلفة جدا بالنسبة لقرطبة بحيث كان عليها ان تقطع مسافات شاسعة قبل ان تصل مناطق الحدود، الأمر الذي شكل استنزافا لثرواتها البشرية والمادية واصبح الأمراء المسلمين منذ النصف الثاني من عصر الإمارة يلوذون إلى السلم استسلاماً ورهبة، والملاحظ ان المعاهدات السليمة لم تقم على قدم المساواة كما انها كانت عرضة للخرق من جانب القوى النصرانية عندما لا تستجيب لمصلحتها او رغبتها (لوبون، د.ت، صفحة 274).

وربما كان لمذهب الامام مالك اثر في ذلك فهو من القائلين بجواز الصلح وان كان لغير ضرورة معتمدا على قوله تعالى: "وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله" (سورة الانفال، صفحة 184/ آية:61) إذن كانت حروب المسلمين تهدف قبل كل شيء إلى الدفاع عن النفس والمحافظة على المصالح، وهكذا تحكمت مقاصد دنيوية في توجيه مضمون الجهاد والانحراف به عن معناه الأساسي. أما عن ممالك الشمال النصرانية فقد اضطرمت نار الاسترداد في اشتوريس اولا ثم في سائر الممالك الشمالية الصغيرة، غير ان هدفها في البداية ليس الاسترداد لمجرد الرغبة في الحرية، ولا نشأت نشأة واعية من حماسة لنشر المسيحية والدفاع عنها ضد المسلمين، فينبغي الحذر من أن يسقط على الماضي ما ينتمي إلى عصور لاحقة، وقد راينا المرة تلو المرة انهم لا يكترثون لفوارق الدين، بيد أن أهل الشمال خلال حروبهم من اجل الحرية اولا ثم من اجل مد حدود سلطانهم قد تمسكوا أكثر فأكثر بالدين المسيحي، ووجدوا في تقديس شانت ياقب مصدر قوة خارقة تشد ازرهم في المحن وتهبهم املا في نصر نهائي (لين، 1947، صفحة 173) كان نصارى شمال إسبانيا رجال حرب وجلد لا يقل نزوعهم إلى القتال عن نزوع اعدائهم المسلمين وقد يفوقونهم في استعدادهم للنضال واحتمالهم الحرب الطويلة الامد، وفي جراتهم اليائسة المستميتة، كما كان ملوك النصارى كما لاحظنا يقودون المعارك بأنفسهم مما كان له تأثير كبير على معنويات الجنود.وبلغ من شدة تردي الاوضاع الداخلية في الجنوب ان بدا المسيحيون حربهم ضد المسلمين بالهجوم عوضاً عن الدفاع لإيقاف الحملات الاسلامية التي كانت تمطر مواقعهم الامامية بالحملات المكثفة، واعطت هذه الخطة ثمارها في النصف الثاني من عصر الإمارة، حيث بدأت حملات المسلمين تتميز بالقلة

والضعف فضلا عن ان خسائر المسلمين لم تكن بالهينة حتى عندما انتقلت مهمة الدفاع عن الثغور الاسلامية إلى الامارات المستقلة في الثغور– لم تنجح مهمتها– وتساقطت الواحدة تلو الأخرى أمام هجمات الممالك النصرانية، بسبب التعب الذي اصابها من جراء حروبها المستمرة وتفاقم مشاكلها الاقتصادية (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 128). واستطاعت القوى المسيحية ومن خلال معرفتها بخضرافية المنطقة إلى تركيز ضرباتها على المواقع الاستراتيجية التي تخرج منها الهجمات، كما استفادت من التحالفات مع المتمردين المولدين وبعد أن تأكدوا ان المسلمين اصبحوا في موقف دفاعي بدؤا في تصعيد هجماتهم حتى اصبحت ممالكهم تشتمل كل ما يقع خلف نهر دويرة ونصف المنطقة التي تقع بن نهر ابره وجبال البرنية حتى تنتهي عند نقطة على البحر المتوسط في منتصف المسافة بين برشلونه وطرطوشه آخر ثغر اسلامي هناك.

المبحث الثالث: العلاقات السياسية مع نبارة

استطاعت نبره ان يكون ككيان مستقل منذ بداية القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي في عهد الأمير عبد الرحمن الثاني(206–238هـ/820–842م) وكانت قبل ذلك تدور في فلك ملوك جليقية وملوك الفرنجة (النويري، 1917م، صفحة 381/23) وما لبثت ان اشتركت مع قوات جليقية في حروبها ضد المسلمين، فخرج اليهم الحاجب عبد الكريم بن مغيث عام(200هـ/815م) والتقى مع قوات بلشك الجلشقي(فلاسكو Velasco)– احد زعماء البشكنس قبل ظهور الاسرة المالكة في نبره بعد ذلك– المتحالفة مع قوات الفونسو الثاني، وبعد معركة عنيفة استمرت ثلاثة عشر يوما اندحرت قبائل البشكنس وقتل احد زعمائها المعروف بشانجه فارس بملبونه (ارسلان، 1983، صفحة 147).

جنحت نبرة بعد هذه الضربة الموجعة للسلم خاصة وان الجبهة الداخلية للمسلمين شهدت هدوا زمن عبد الرحمن الثاني ونجحت في التصدي لملوك جليقية هذا عدا عن تعرض بملبونه نفسها عام(209هـ/823م) لهجوم الجيش الفرنجي بقيادة ازنار وابلو فاستغاثت بجيرانها المسلمين من حكام الثغر الاعلى المرتبطين معهم بروابط المصاهرة، واستطاعت قوات البشكس تساندهم القوات الاسلامية من دحر الجيش الفرنجي والحاق الهزيمة به (عبد الحليم، (د.ت)، الصفحات 149–150). وربما أن حكومة قرطبة قد ارتكبت خطا جسيما حين مدت يد العون للبشكنس ضد الفرنجة وكان الأولى بها ان تترك كلا الطرفين يتصادمان حتى يقضي احدهما على الاخر وترتاح من شر اي منهما بدلاً من ان تضحي بدماء غالية واموال طائلة لنصرة البشكنس الذين هرعوا– وكعادتهم عندما يشعرون بضعف– لإرسال السفارات إلى قرطبة حيث ابرم اتفاقاً بين الطرفين يضمن مساعدة المسلمين لنبره في صد اي اعتداء خارجي عليها، مقابل السماح لهم بعبور جبال البرنيه في طريقهم إلى جنوب فرنسا متى ما أرادو ذلك (العذري، 1965، صفحة 30).

لكن نصارى الشمال وكعهدنا بهم لم يحترموا عهدا ابرموه فحالما اتيحت لهم الفرصة تحالفوا مع أصهارهم بني قسي ضد قرطبة (النويري، 1917م، صفحة 381/23)، اما عن اسباب الخلاف بين بني قسي وامراء قرطبة فتعود إلى خلاف داخلي بين قادة الجيش الاسلامي، ففي طريق عودتهم إلى قرطبة بعد احرازهم نصرا كبيرا على جيوش الفرنجة عام(226هـ/841م) حدث ان صدرت عن جرير ابن موفق احد قادة الجيش معاملة قاسية نحو موسى بن موسى مما اغضبه وجعله يفكر في الانفصال، وما لبث ان نفذ ما جال بفكره فعلا واتجه إلى تطيله واعلن خروجه عن طاعة عبد الرحمن الثاني[*] (مؤلف مجهول، 1867م، صفحة 99). الأمر الذي لم تسمح به قرطبة فوجهت اليه جيشا بقيادة الحارث بن يزيع (النويري، 1917م، صفحة 382/23) فنجح في هزيمة قوات موسى وقتل ابنه، وظل يضيق عليه الخناق حتى تمت المفاوضات بن الطرفين على ان يتخلى موسى عن تطليه ويسلمها للحارث مقابل تركه حرا يتوجه مع اتباعه إلى مكان اخر، فغادر إلى ارنط(Armedo) بينما دخلها الحارث (النويري، 1917م، صفحة 382/23). لكن الحارث ما لبث ان نقض ذلك وسار لحصار موسى من جديد في ارنيط، فاستنجد موسى بامير بمبلونه غرسيه بن ونقة(Garcia Iniquez) فاستجاب له واتفق الطرفان على الحرب وفوجئ الحارث بالكمائن احاط به الجند من كل جانب، وحدثت معركة عنيفة كان النصر فيها حليف موسى وغرسيه واصيب الحارث في المعركة بضربة افقدته احدى عينيه ثم وقع اسيرا بأيديهم (العذري، 1965، صفحة 30). ازاء ذلك صمم عبد الرحمن الثاني على القضاء على تلك الحركة فوجه ابنه محمد على راس جيش كبير في عام(228هـ/843م) فحاصر موسى بتطيلة حتى قبل الصلح واطلق سراح الحارث ين يزيغ وبقية الاسرى فلحقوا بعبد الرحمن الذي اتجه نحو بملبونه واخضعها[*] (المقري، 1388هـ/1968م، صفحة 345/1).

ويبدو أن الأمير لم يكن واثقا من دخول موسى في الطاعة فنراه في العام التالي يقود جيشا يتجه به لحصاره من جديد في تطيله حي يلتقى بقواته مجتمعه مع قوات حليفه الملك غرسيه فيخوض معهما معركة عنيفة يحرز فيها نصرا كاسحا وفر موسى وخليفة جريحين (العذري، 1965، صفحة 30) مما اضطر امير بمبلونة لطلب الصلح والأمان فعقد له الأمير الامان واقره على بلده شرط ان يؤدي الجزية ومقدارها سبعمائة دينار كل عام، كما دخل بالأمان ايضا كونت سردانيه على شرط ان يرد هو وامير نبره جميع ما بقي عندهما من اسرى (ابن عذاري، 1883م، صفحة 97/2).ولم يعد موسى بن موسى يقوى على مجابهة قوات الأمير، فعرض الدخول في الطاعة،

---

[*] حارث بن يريغ: احد كبار قواد عبد الرحمن الاوسط بن الحكم، عاش ابوه يزيغ في دولة عبد الرحمن الداخل وذلك انه لما قام حيوه بن الملامس بالثورة في اشبيليه على الامير الداخل، وثار معه عبد الغافر اليحصبي ودارت الهزيمة على هذين في سنة(154هـ) قام عبد الرحمن بشراء عدد من العبيد ممن حسن بلاؤهم في المعركة، وكان من بينهم يزيغ والد الحارث.

[*] ذكر المقري ان غرسيه قتل مع عدد كبير من جنوده.

فوافق الأمير مقابل تسليم رهائن، فسلمت وكان من بينها ابن الثائر فقبلها الأمير ورضي بإبقاء موسى حاكما على تطليه، وكان عبد الرحمن بحاجة إلى مثل هذا الصلح إذ وردت اليه الانباء عن نزول النورمانديين عام (230هـ/859م) على سواحل الأندلس فاستعان الأمير في صدهم بقوات موسى مما يدل على ان الرجل خضع فعلا للطاعة ولو لبضع سنوات على الاقل (ابن حيان، 1968، صفحة 157) وفي عام(237هـ/852م) وخلال المعركة التي عرفت باسم وقعة البيضاء قتل ينقه ابن ونقه اخو موسى لامه وحليفه في تمردة السابق (ابن عذاري، 1883م، صفحة 97/2). حتى ان كان عام(246هـ/860م) وجه الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي خلف اباة(238-27هـ/852-886م) حملة لغزو بملبونه وصاحبها يومئذ غرسيه بن نقه الذي كان متحالفا آنذاك مع اوردونيو صاحب جليقية بينما كان موسى بن موسى في طاعة قرطبة (ابن عذاري، 1883م، صفحة 97/2). واقام الجيش الاسلامي في تلك النواحي أكثر من شهر (اثنين وثلاثين يوما) يدمر ما امامه ويفتح المدن والحصون منها حصن فيروس وفالحسن والقشتل (ابن عذاري، 1883م، صفحة 97/2) ومن أهم احداث تلك الحملة وقوع فرتون بن غرسيه اسيرا بيد المسلمين، فحملوه معهم إلى قرطبة حيث بقي فيها عشرين سنة قبل ان يصدر الأمير محمد تعليماته بالإفراج عنه ورده إلى بلده (عبد الحليم، (د.ت)، صفحة 153).

الضربة الموجعة التالية جاءت لنبرة من قبل جارتها القوية ليون، إذ قتل ملكها غرسيه في معركة حامية بين الطرفين مما كان له اثر كبير في اضعاف هذه الإمارة، فعاشت فترة من الزمن لم يظهر لها اي نشاط سياسي او عسكري (ابن عذاري، 1883م، الصفحات 101/2-102)، وبما ان حملات قرطبة ضد المدن النصرانية الشمالية كانت دفاعية بالدرجة الأولى فقد توقفت حملات قرطبة ضدها فترة من الزمن قبل ان تستأنف من جديد عام(259هـ/873م) وتلتها حملة اخرى عام(260هـ/784م) استهدفت بمبلونه أيضاً، وحملة ثالثة تحمل تاريخ عام(264هـ/878م)، وليس في هذه الحملات اي احداث مهمة فقد استهدفت اضعاف العدو وايقاف هجماته وتوسعه على حساب الأراضي الاسلامية (العذري، 1965، صفحة 37).

انشغل الأمراء المسلمون في النصف الثاني من عصر الإمارة بتدهور الاوضاع في جبهتهم الداخلية ولم يتمكنوا من التصدي لنصارى الشمال النصراني، فحل محلهم في هذا المجال بعض القادة والولاة في الثغر الاعلى خاصة اسرة بني قسي وزعيمها آنذاك لب بن محمد الذي الحق هزيمة نكراء بجيوش الفونسو الثالث وجيوش نبرة المتحالفة معه عند وادي برجة حيث اراضي بني قسي (ابن عذاري، 1883م، صفحة 141/2). وفي عام(291هـ/904م) هاجم حصن بايش(Baeza) في مقاطعة البه وفي هذه الاثناء كان الفونسو يحاصر حصن غرنون، فلما بلغة دخول محمد بن الب إلى أراضيه فك الحصار وعاد إلى مركز حكمه (ابن عذاري، 1883م، صفحة 141/2). وصعد لب بن محمد نشاطه في ناحية بلياش شمال الثغر الاعلى، وفتح هناك حصن لحرونفه

وحصن ايلاس وحصن قشتيل شنت وحصن موله وقتل في هذه الحصون ما يقرب من سبعمائة من المدافعين عنها كما وقع في يده الغين من السبايا (العذري، 1965، صفحة 143/2). وكان آخر لقاء له مع ملوك نبره عام (294هـ/907م)، إذ خرج إلى جهات بملبونه فنز في نهورة وشرع في بناء حصن هرين فجمع له ملك نبره الجديد شانجه غرسيه الاول(293-314هـ/ 905-926م) كل ما يستطيع جمعه من الجموع الغفيرة واستعان بالشرطانيين ايضا ونصبوا له الكمائن واستدرجوه حتى قتلوه (ابن عذاري، 1883م، صفحة 143/2). ولم تنته متاعب ملوك نبرة مع حكام الثغر الاعلى بوفاة لب بن محمد، ففي السنة نفسها هاجم محمد بن عبد الملك الطويل زعيم اسرة بني الطويل المولودين من جهات بريطانية وافتتح بعض الحصون، ووقع في يده عدد من الاسرى (ابن عذاري، 1883م، صفحة 145/2)، وأعاد الكرة بعد عامين وتحديدا عام(296هـ/909م) فهاجم منطقة بليارش واوقع باهلها، ووفد عليه رسل أهل حصن روطة، يعرضون عليه الصلح ويعطونه الرهائن والجزية، فلم يجبهم إلى ذلك، فخرجوا هاربين من الحصن واخلوه، فهدمه، وفي نفس العام تغلب على حصن منت بطروش وهو المعروف بجبل الحجارة (ابن عذاري، 1883م، صفحة 146/2).وتابع هجماته في العام التالي(297هـ/910م) إلى المنطقة ذاتها، فافتتح حصن اوريواله (Orihuelo) وأصاب ثلاثمائة من السبي وقتل عددا كبيرا من الجند، وقبل أن يغادر هذا الحصن هدمه وتقدم إلى حصن غلتير والغيران فهدمهما وكان مقدار الغنائم في هذه الحملة ما قيمته ثلاثة عشر الفاً (ابن عذاري، 1883م، صفحة 148/2).

وفي العام(298هـ/991م) ظهرت بودار تعاون مشترك بين اسرة بني قسي واسرة بني الطويل ضد نبره، إذ خرج محمد بن عبد الملك الطويل إلى ارغونه في طريقة إلى بمبلونه على ان يجتمع هناك مع عبدالله بن محمد بن لب الذي كان قد خلف اخاه لب بن محمد في حكم تطليه عام (294هـ/907م). وعندما وصل إلى حصن البربر امر بإحراق ما حوله ومن ضمن ما احرقه كنائس تلك المنطقة وربما هناك شك في هذه الحاثة او قد تكون دست عن قصد ثم تابع سيره واحتل الحصون التابعة لنبره ويعرف بشار قشتيله، ولكن عند سماعه بتحرك قوات ملك نبره تخاذل وفضل الانسحاب، ولما بلغ ذلك عبدالله بن لب صرف جهده إلى محاصرة حصن لوازة احد حصون ملك نبره وقتل وسبى وعاد من حيث اتى مكتفيا بذلك وهكذا لم يتمكن ابن الطويل وابن قسي من القيام بعمل ناجح ضد نبره في تلك الفترة (الصوفي، 1980م، صفحة 82).

الخاتمة:

بعد تناولنا في هذا البحث المتواضع للعلاقات السياسية بين المسلمين في الأندلس وممالك النصارى بالشمال خلال عصر الإمارة(138-300هـ/ 755=912م)، كانت علاقات عسكرية في أغلبها وصراعات ومعارك في أغلب الفترات رغم أنه كانت هناك فترات للتواصل السياسي الدبلوماسي حيث كانت هناك سفارات وتواصل بين

الطرفين، المسلمين والنصارى ومن دراسة وتحليل الروايات التاريخية التي درسناها ووصلتنا بأن حرب المسلمين كانت بالدرجة الأساس حروب وقائية وان المسلمين كانوا يكتفون بصائفة نحو الشمال كل عام وان ذلك يرجع إلى أن أغلب المعارك كانت غير حاسمة أي أنها وقائية بالدرجة الاساس، وان الصلات السياسية والدبلوماسية كانت متواصلة رغم ذلك وعليه تبين أن أهم نتائج البحث:-

1. إبرام عقود للصلح والهدنة بين الطرفين الإسلامي والمسيحي كما أشرنا سابقا بأن الدبلوماسية والسفارات كانت متواصلة في أغلب الاوقات رغم الحروب المستمرة لأن ميزات القوة والانتصار في تلك الفترة كان دائما يميل للعرب المسلمين.
2. التأثيرات بين الطرفين العربي الاسلامي والاوربي النصراني، كانت تأثيرات إسلامية في أغلبها وأن الملوك والكونتات النصارى كانوا يبعثون رسلهم إلى قرطبة الاسلامية بعد كل هزيمة في معركة من المعارك التي كانت تنشب بين الطرفين بغرض الصلح والهدنة، غير أن وفاءهم بالعهود واحترامهم للمواثيق مع العرب المسلمين كان لا يقاوم طويلا، بل بحسب مصالحهم وظروفهم وقوتهم أو ضعفهم وعندما يجدون الفرصة سانحة فإنهم يبادرون إلى نقض العهود تكرار اعتدائهم على الأرضي الإسلامية في الأندلس، وهذا في الماضي والحاضر.
3. كل الكتابات عن تلك الفترة تركز على أن المسلمين كانوا هم المبادرون في إدارة السياسات وفي المواجهات اي هم من يمثلون طرق القوة وايضا يملكون روية التسامح والنصائح خصوصا وأن المسلمين في تلك الفترة كانوا يحاولون ترسيخ حكمهم في الأندلس وهذا لا يلقي أو يوفر على ان الفتوحات الاسلامية انحسرت في تلك الفترات في أغلب المناطق التي حاول المسلمون الوصول اليها بالوقت الذي كان النصارى يحاولون دائما ان يستعيدوا ما يعتبروه جزء منهم أخذ بالقوة.
4. كانت قرطبة عاصمة الإمارة الإسلامية، وحاضرة الأندلس ومركز القرار السياسي وقبلة الممالك النصرانية في تقديم الولاء للمسلمين.

ثبت المصادر والمراجع:

1. **ابراهيم الدوري. (1982). *عبد الرحمن الداخل في الأندلس وسياسته الخارجية والداخلية*. بغداد: دار الحرية.**
2. **إبراهيم بيضون. (1986م). *الدولة العربية في اسبأنيا من الفتح حسن سقوط الخلافة*. بيروت: طبعة النهضة العربية.**
3. **أبو الحسن علي بن ابي الكرم (ت630هـ/1233م) ابن الاثير. (1980). *الكامل في التاريخ*. (تحقيق نخبة من العلماء، المحرر) بيروت: دار الكتاب العربي.**

4. أبو الحسن علي بن موسى ابن سعيد المغربي. (1955). *المغرب في حلي المغرب*. (تحقيق، شوقي ضيف، المحرر) القاهرة: دار المعارف.
5. ابو العباس احمد بن علي (ت821هـ/1418م) القلقشندي. (1987م). *صبح الاعشى في صناعة الانشا، محي حسين شمس الدين*. بيروت: دار الكتب العلمية.
6. ابو العباس احمد بن محمد ت: بعد(713هـ/1313م) ابن عذاري. (1883م). *البيان المغرب. في اخبار الأندلس والجنوب*. (تحقيق: ج.س. كولان. أ. ليفي بروفسنال، المحرر) بيروت: دار الثقافة.
7. ابو عبدالله بن محي (ت:403هـ) ابن الفرضي. (1966). *تاريخ علماء الأندلس*. القاهرة: مطابع سجل العرب.
8. ابو عبيد الله بن عبد العزيز (ت:487هـ) البكري. (1968م). *جغرافية الأندلس واروبا،(من كتاب المسالك والممالك)*. (تحقيق: عبد الرحمن الحجي، المحرر) طبعة بيروت.
9. ابو محي علي بن احمد (ت456هـ) ابن حزم الأندلسي. (1983م). *جمهرة انساب لعرب*. (تحقيق: عبد السلام محي هارون، المحرر) طبعة بيروت.
10. ابو مروان حيان بن خلف بن حسين(ت:469هـ/ 1076م) ابن حيان. (1968). *المقتبس من ابناء اهل الأندلس*. (تحقيق: محمود علي مكي، المحرر) بيروت: دار الكتاب.
11. احمد بن عمر (ت:478هـ/ 1085م) العذري. (1965). *توضيح الاخبار وتنوع الاثار والبنيان في غرائب البلدان، المعروف بنصوص عن الأندلس* (المجلد الخامسة). (تحقيق: عبد العزيز الاهواني، المحرر)
12. احمد بن محمد التلمساني،ت1041هـ/1631م المقري. (1388هـ/1968م). *نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطب*. (تحقيق: احسان عباس، المحرر) بيروت: دار صادرة.
13. الحافظ ابو عبدالله شمس الدين الذهبي. (1982). *سير اعلام النبلاء*. بيروت: طبعة دار الفكر.
14. السيد عبد العزيز سالم. (1962). *تاريخ المسلمين، واثارهم في الأندلس*. طبعة بيروت.
15. بول لين. (1947). *قصة في الأندلس، تعريب علي الجارم* (المجلد (د.ط)). القاهرة: دار المعارف.
16. حسن حلاق. (1986). *العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى(الأندلس، صقلية الشام)*. بيروت: الدار الجامعية.
17. خالد الصوفي. (1980م). *تاريخ العرب في الأندلس(عصر الإمارة) من عبد الرحمن الداخل إلى عبد الرحمن الناصر (138-50هـ/755-960م)* (المجلد الثانية). بغادي: منشورات،جامعة قار يونس.
18. رجب محمد عبد الحليم. ((د.ت)). *العلاقات بين الأندلس الاسلامية واسبأنيا النصرانية في عصرني وملوك الطوائف*. القاهرة، بيروت: دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني – دار الكتب الاسلامية.
19. رينهرت دوزي. (1994م). *المسلمون في الأندلس، (اسبأنيا الاسلامية)*. (تعريب: حسن حسيني، المحرر) القاهرة: السيرة المعربة للكتاب.
20. *سورة الانفال*. (بلا تاريخ).
21. شكيب ارسلان. (1983). *تاريخ غزوات العرب*. بيروت: دار مكتبة الحياة.
22. شهاب الدين ابي عبدالله (ت626هـ) ياقوت. (بلا.ت). *معجم البلدان*. دار صادر بيروت.

23.شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت:733هـ/1333م) النويري. (1917م). *نهاية الارب في فون الادب*. (تحقيق: جاسبار راميدون، المحرر) غرناطة.

24.عبادة كحيلة. (1993). *تاريخ النصارى في الأندلس*. القاهرة: المطبعة الاسلامية الحديثة.

25.عبد الرحمن بن محي (ت808 /1406م) ابن خلدون. (1971). *العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم ن عامرهم من ذوي السلطان الاكبر*. بيروت: مؤسسة الاعلمي.

26.عبد الملك بن حسيب السلمي الأندلسي ابن حبيب. (بلا). *كتاب التاريخ*. بيروت: منشورات محي علي بيضون، دار الكتب العلمية.

27.غوستاف لوبون. (د.ت). *حضارة العرب*. (تعريب عادل زعيتر، المحرر)

28.كارل بروكلمان. (1948). *تاريخ الشعوب الاسلامية*. (تعريب، امين فارس منير البعلبكي، المحرر) بغداد: دار الكتب والوثائق الوطنية.

29.لسان الدين ابو عبدالله محمد بن عبدالله(ت:776هـ) ابن الخطيب. (1956). *أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوث الاسلام*. (تحقيق: ليضف بروفنسال، المحرر) طبعة بيروت.

30.محمد بن عمرو بن عبد العزيز ابن القوطية. (1975). *تاريخ افتتاح الأندلس*. (تحقيق: عبدالله انيس الطباع، المحرر) مطبعة بيروت.

31.محمد عبدالله عنان. (1952م). *دولة الاسلام، في الأندلس (عهد السنة الكبرى حتى نهاية عهد عبد الرحمن الناصر)، العصر الاول*. القاهرة: القسم الثاني مطبعة مصر.

32.مؤلف مجهول. (1867م). *اخبار مجموعة في فتح الأندلس وامرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بدينهم*. (تحقيق: دون لافونتي، المحرر) القنطرة، مدريا.

.